"ظاهرة "الإسلاموفوبيا" المفهوم، النشأة، الأسباب، الآثار، العلاج"

"The phenomenon of "Islamophobia": concept, origins, causes, effects, and treatment."

إعداد

د/ هاني سمير أمين جزيرة

المدرس بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية

كلية أصول الدين- القاهرة

«ظاهرة «الإسلاموفوبيا» المفهوم، النشأة، الأسباب، الآثار، العلاج»

هاني سمير أمين جزيرة.
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، كلية أصول الدين، جامعة الأزهر، القاهرة.
البريد الإلكتروني: drhanysamir2000@yahoo.com

الملخص:

في فصل جديد من فصول تأزم العلاقة بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية، شهدت الآونة الأخيرة –خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر– نوعًا خاصًّا من العداء والعنصرية والإقصاء، مارسه الغرب ضد الإسلام والمسلمين، وتم نحت مصطلح جديد لهذه الظاهرة لم يكن موجودًا من قبل على الساحة الفكرية، وهو "الإسلاموفوبيا"، وهو مصطلح جديد لكنه ظاهرة قديمة بقدم الإسلام، ولما كانت هذه الظاهرة فيها إجحاف للإسلام وتمييز متعمد ضد الإسلام والمسلمين، كان هذا البحث، وقد جاءت خطته على النحو الآتي:

المقدمة، وفيها: أهداف البحث، مشكلة الدراسة.

المبحث الأول: التعرف بمصطلحات البحث «الإسلام، فوبيا»، وتحته مطلبان: المطلب الأول: تعريف مصطلح «الإسلاموفوبيا». المطلب الثاني: السياق التاريخي لنشأة مصطلح «الإسلاموفوبيا».

ثم المبحث الثاني: الإسلاموفوبيا... استدعاء من جديد، وتحته مطلبان، المطلب الأول: فصل جديد بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر. المطلب الثاني: الإسلاموفوبيا: تمويه غربي لعلاقة عنصرية.

ثم المبحث الثالث: الصورة النمطية للإسلام والمسلمين في المتخيل الغربي، ويشتمل على المطالب الآتية، المطلب الأول: الصورة النمطية عن الإسلام عند الساسة وقادة الرأي الغربي. المطلب الثاني: الصورة النمطية عن القرآن الكريم في المتخيل الغربي، المطلب الثالث: الصورة النمطية عن النبي

محمد صلى الله عليه وسلم في المتخيل الغربي، المطلب الرابع: الصورة النمطية للإسلام والعرب في الموسوعات والكتب المدرسية، المطلب الخامس: تجليات خطاب الكراهية الخاص بالعرب في الإعلام الغربي.

ثم المبحث الرابع: المبحث الرابع: أسباب تنامي ظاهرة الإسلاموفوبيا. ثم المبحث الخامس: آثار التخويف من الإسلام.ثم المبحث السادس: علاج ظاهرة الإسلاموفوبيا.

الخاتمة: وفيها أهم ما توصل إليه البحث من نتائج ومقترحات، وأهم المصادر والمراجع، وفهرست الموضوعات.

أهم النتائج: كان من أهم نتائج البحث؛ أن من أهم العوامل التي أدت إلى هذه الظاهرة النجاحُ الذي حققه الإسلام خارج أرضه عبر التاريخ؛ مما شكل خوفًا وقلقًا بالغين لدى الغرب من تكرار مثل هذا النجاح ووأد أحلامه الاستعمارية.

وكان من أبرز التوصيات:

عقد مؤتمر يناقش فيه الأزهر الشريف قضية الإسلاموفوبيا في العالم، ويكون من بين المدعويين لهذا المؤتمر خبراء قانونيون، وسياسيون، ودبلوماسيون، وعلماء دين، وعلماء اجتماع وممثلين لمنظمات دولية، فضلًا عن ممثلي الدول في السفارات المصرية؛ لإطلاعهم على الأزمة وآثارها السلبية على المجتمعات، ومحاولة الخروج بتوصيات عملية من شأنها مواجهة حالة القلق والاضطراب والخوف لدى البعض من الإسلام والمسلمين

الكلمات المفتاحية: الإسلاموفوبيا،الأسباب،، ظاهرة، العلاج، الآثار .

"The phenomenon of"Islamophobia":concept, origins, causes, effects, and treatment."

Hany Samir Amin gezera.
Department of Islamic Call and Culture, Faculty of Fundamentals of Religion,
Al-Azhar University, Cairo.
Email: drhanysamir2000@yahoo.com

Abstract:

In a new chapter of the crisis in the relationship between Western civilization and Islamic civilization, recent times - especially after the events of September 11 - have witnessed a special type of hostility, racism, and exclusion practiced by the West against Islam and Muslims, and a new term has been coined for this phenomenon that did not exist previously. Before on the intellectual scene, it is "Islamophobia", which is a new term, but it is a phenomenon as old as Islam, and since this phenomenon contains prejudice against Islam and deliberate discrimination against Islam and Muslims, this research, and its plan, came as follows:

The introduction includes: the research objectives, the problem of the study.

The first topic: Identifying the search terms "Islam, phobia." Under it are two requirements: The first requirement: Defining the term "Islamophobia." The second requirement: the historical context of the emergence of the term "Islamophobia".

Then the second topic: Islamophobia... a summons again, and under it are two demands. The first demand: a new chapter after the events of September 11. The second requirement: Islamophobia: a Western camouflage of a racist relationship.

Then the third topic: The stereotypical image of Islam and Muslims in the Western imagination, and it includes the following demands. The first requirement: The stereotypical image of Islam among Western politicians and opinion leaders. The second requirement: The stereotypical image of the Holy Qur'an in the Western imagination. The third requirement: The stereotypical image of the Prophet

Muhammad, may God bless him and grant him peace, in the Western imagination. The fourth requirement: The stereotypical image of Islam and Arabs in encyclopedias and textbooks. The fifth requirement: Manifestations of hate speech about Arabs in the media. western.
Then the fourth section: The fourth section: The reasons for the growing phenomenon of Islamophobia. Then the fifth section: the effects of fear of Islam. Then the sixth section: treating the phenomenon of Islamophobia.
Conclusion: It contains the most important findings and suggestions of the research, the most important sources and references, and an index of topics.
The most important results: One of the most important results of the research was: One of the most important factors that led to this phenomenon is the success that Islam has achieved outside its homeland throughout history. Which created great fear and anxiety among the West about repeating such success and crushing its colonial dreams.
Among the most prominent recommendations were:
Holding a conference in which Al-Azhar Al-Sharif will discuss the issue of Islamophobia in the world. Among those invited to this conference will be legal experts, politicians, diplomats, religious scholars, sociologists and representatives of international organizations, as well as representatives of countries in Egyptian embassies. To inform them of the crisis and its negative effects on societies, and to try to come up with practical recommendations that would confront the state of anxiety, turmoil, and fear among some of Islam and Muslims.
Keywords: Islamophobia, Causes, Phenomenon, Treatment, Effects.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين، أما بعد..

في فصل جديد من فصول تأزم العلاقة بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية، شهدت الآونة الأخيرة –خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر– نوعًا خاصًّا من العداء والعنصرية والإقصاء، مارسه الغرب ضد الإسلام والمسلمين، وتم نحت مصطلح جديد لهذه الظاهرة لم يكن موجودًا من قبل على الساحة الفكرية، وهو "الإسلاموفوبيا"، وهو مصطلح جديد لكنه ظاهرة قديمة بقدم الإسلام، ولما كانت هذه الظاهرة فيها إجحاف للإسلام وتمييز متعمد ضد الإسلام والمسلمين، كان لابد من تسليط الضوء عليها لنعلم هل هي حقيقة أم أنها وهم، عملت على بثه مؤسسات إعلامية وأقلام مسعورة، تريد تحجيم المد الإسلامي، وترهيب الناس برسم صورة مخيفة عن الإسلام في أذهان ومخيلة الشعوب التي تستقي ثقافتها ومفاهيمها بالدرجة الأولى من ذلك الإعلام، وتلك الأقلام المأجورة التي جانبت الموضوعية في كثير مما تعرضه، أو أنها تحاول تقزيم الفكر الإسلامي واختزاله بأفعال وأقوال المتطرفين من أبنائه الذين لا يخلو منهم مجتمع أو دين، وتصوير الإسلام أنه تلك الأقوال والأفعال التي تصدر عن هؤلاء، ويصمون آذانهم ويغفلون أو يتغافلون عن تلك الأصوات والأفكار المعتدلة التي تعبر بحق عن الإسلام ووسطيته، بعيدًا عن الغلو المفرط أو التساهل المخل بحقائق الإسلام ومبادئه.

ولما كان ميدان الفكر الإسلامي سلامة المنهج للوصول إلى حقائق صحيحة، كان هذا البحث الذي جاء ليسلط الضوء على التشويه والكذب المتعمد على الإسلام وأهله، وبيان زيف هذا المصطلح.

أهداف البحث

يمكن تلخيص أهداف البحث في النقاط الآتية:

- الوقوف على الأسباب الحقيقية لظاهرة الإسلاموفوبيا.

-آثار هذه الظاهرة.

- علاج هذه الظاهرة.

مشكلة الدراسة:

جاءت هذه الدراسة للإجابة عن الأسئلة الآتية:

-ما معنى مصطلح الإسلاموفوبيا؟ ومتى نشأ؟

-ما أسباب شيوع هذه الظاهرة؟

-ما الصورة النمطية في المتخيل الغربي عن الإسلام وأهله؟

-ما سبل علاج هذه الظاهرة؟

منهج البحث

اقتضت طبيعة البحث أن يستخدم الباحث المنهج الوصفي [1]، أي وصف الظاهرة كما هي موجودة على أرض الواقع؛ للوصول إلى أسبابها وعواملها، ومن ثم استخلاص العلاج الناجع لها، أي أن هذه الدراسة تجاوزت مرحلة وصف المشكلة إلى مرحلة إبراز الحلول وسبل العلاج، وهذا

(١) **المنهج الوصفي** هو: «أسلوب من أساليب التحليل المركز على معلومات كافية ودقيقة عن ظاهرة أو موضوع محدد، أو فترة أو فترات زمنية معلومة، وذلك من أجل الحصول على نتائج علمية، ثم تفسيرها بطريقة موضوعية، بما ينسجم مع المعطيات الفعلية للظاهرة» يراجع: «البحث العلمي أساسياته النظرية وممارسته العملية»، تأليف: رجاء وحيد دويدري، (ص: ١٨٣)، ط: دار الفكر المعاصر، بيروت–لبنان، دار الفكر، دمشق– سورية، ط: الأولى ١٤٢١ هـ– ٢٠٠٠م.

لا يعني أن البحث لم يعتمد على المناهج الأخري مثل المنهج التاريخي[١] والمنهج النقدي[٢] وكذلك المنهج التحليلي[٣]، بل لا يمكن الفصل بين المناهج العلمية في البحث الواحد.

---

(١) **المنهج التاريخ**: هو التدوين الموثق للأحداث الماضية، وهو أيضًا: وصف الحقائق التي حدثت في الماضي بطريقة تحليلية ناقدة، ومنهج البحث التاريخي: هو مجموعة الطرائق والتقنيات التي يتبعها الباحث والمؤرخ للوصول إلى الحقيقة التاريخية، وإعادة بناء الماضي بكل وقائعه وزواياه كما كان عليه في زمانه، ومكانه، وبجميع تفاعلات الحياة فيه. يراجع: «البحث العلمي وضوابطه في الإسلام» تأليف د: حلمي عبد المنعم صابر، صـ٤٣، ط: مكتبة الإيمان، ط: الثانية ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.«البحث العلمى أساسياته النظرية وممارسته العملية» تأليف: رجاء وحيد دويدري، (ص:ـ ١٥١)، ط: دار الفكر المعاصر، بيروت-لبنان، دار الفكر، دمشق- سورية، ط: الأولى ١٤٢١ هـ- ٢٠٠٠م.

(٢) **المنهج النقدي**: هو عبارة عن مجموعة من الأدوات والإجراءات التي يتبعها الناقد أثناء قراءة النص وتحليله وتفسيره، فتتباين القراءات النقدية لنص واحد وتتنوع بتنوع القراء ومناهجهم النقدية، فلكل قارئ منهجه وطريقه الذي يسلكه أثناء تناوله للنص. يراجع: «النقد الأدبي الحديث» تأليف:محمد غنيمي هلال، (ص: .٩)، ط: دار النهضة- مصر ١٩٧٥م.

(٣) **المنهج التحليلي**: يعني بدراسة مفردات البحث بأسلوب علمي واضح مستخدمًا تنظيمًا معينًا للوصول إلى الحقائق والنتائج، وهو منهج يقوم على دراسة الإشكالات العلمية المختلفة تفكيكًا أو تركيبًا أو تقويمًا، فإن كان الإشكال تركيبه منغلقة قام المنهج التحليلي بتفكيكها وإرجاع العناصر إلى أصولها، أما إذا كان الإشكال عناصر مشتتة، فإن المنهج يقوم بدراسة طبيعتها ووظائفها ليركب منها نظرية ما، أو أصولًا ما، أو قواعد معينة، ويتلخص المنهج التحليلي في عمليات ثلاث قد تجتمع كلها أو بعضها في العمل الواحد وهي التفسير أي التفكيك والنقد أي التقويم، ثم الاستنباط أي التركيب. يراجع: «أبجديات البحث العلمي في العلوم الشرعية» تأليف د: فريد الإنصاري، (ص: .٩٦)، ط: مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء، ط: الأولى ١٩٩٧م..

و أستشهد بما ذكره علامة مناهج البحث العلمي الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بدوي؛ –رحمه الله – الذي يشير إلى حقيقة علمية متفق عليها بين علماء البحث العلمي، وهي: «أن الفصل بين المناهج العلمية غير ممكن في البحث العلمي، وأن تقسيمها على هذا النحو إنما هو من أجل دراستها فحسب، فكلها في الواقع خطوات مختلفة في منهج واحد عام قد نسير بها كلها أو بعضها لدراسة مسألة واحدة في علم واحد وعمل واحد ووقت واحد»[1] .

الدراسات السابقة

من خلال البحث في المكتبة الإسلامية فقد وجد الباحث دراسات في الموضوع، منها:

- «ظاهرة كراهية الإسلام الجذور والحلول» معتز الخطيب نشر هذه البحث بمجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، المجلد الخامس العدد السابع عشر، ١٤٢٩هـ– ٢٠٠٨م.وقد تحدث الباحث عن جذور ظاهرة الكراهية، وقدم بعض الحلول لها.
- «صورة العرب في العقل الغربي من خلال الموسوعات العلمية الغربية» تأليف: عفيف البوني نشر هذا البحث بمجلة المستقبل العربي، عدد المجلد العاشر العدد، (١٠١) يوليو– تموز ١٩٨٧م، الناشر: مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان.رصد الباحث من خلال بعض الموسوعات الغربية صورة العرب فيها.
- «ظاهرة الخوف من الإسلام في الغرب (الإسلاموفوبيا) ومواجهتها فكريا»، د: ياسين مهدي صالح، نشر بمجلة البحوث والدراسات

(١) يراجع: «مناهج البحث العلمي» تأليف د: عبد الرحمن بدوي، (ص:-١٨)، وكالة المطبوعات – الكويت، ط: الثالثة ١٩٧٧م.

الإسلامية، العدد (٣١) يونيو ٢٠١٣م، الناشر: ديوان الوقف السني- مركز البحوث والدراسات الإسلامية- العراق.تحدث الباحث عن ظاهرة الخوف وسُبل مواجهتها فكريا.

- «خرافة الإسلاموفوبيا» تأليف أ.د: الدراجي زروخي، الناشر: منشورات مخبر الدراسات الأنثربولوجية والمشكلات الاجتماعية جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، ط: الأولى: ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م.تحدث عن ماهية الإسلاموفوبيا، وأغلوطة الإسلاموفوبيا، وسُبل الخروج من مأزق عولمة الإسلاموفوبيا.

خطة البحث

مقدمة

أهداف البحث

مشكلة الدراسة

منهج البحث

الدراسات السابقة

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث «الإسلام، فوبيا».

المطلب الأول: تعريف مصطلح «الإسلاموفوبيا».

المطلب الثاني: السياق التاريخي لنشأة مصطلح «الإسلاموفوبيا».

المبحث الثاني: الإسلاموفوبيا... استدعاء من جديد.

المطلب الأول: فصل جديد بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر.

المطلب الثاني: الإسلاموفوبيا: تمويه غربي لعلاقة عنصرية.

المبحث الثالث: الصورة النمطية للإسلام والمسلمين في المتخيل الغربي.

المطلب الأول: الصورة النمطية عن الإسلام عند الساسة وقادة الرأي الغربي.

المطلب الثاني: الصورة النمطية عن القرآن الكريم في المتخيل الغربي.

المطلب الثالث: الصورة النمطية عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم في المتخيل الغربي.

المطلب الرابع: الصورة النمطية للإسلام والعرب في الموسوعات والكتب المدرسية.

المطلب الخامس: تجليات خطاب الكراهية الخاص بالعرب في الإعلام الغربي.

المبحث الرابع: أسباب تنامي ظاهرة الإسلاموفوبيا.

المبحث الخامس: آثار التخويف من الإسلام.

المبحث السادس: علاج ظاهرة الإسلاموفوبيا.

الخاتمة

أهم النتائج

أبرز التوصيات.

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات البحث «الإسلام، فوبيا»

المطلب الأول: تعريف مصطلح «الإسلاموفوبيا»

المطلب الثاني: السياق التاريخي لنشأة مصطلح «الإسلاموفوبيا».

المطلب الأول: التعريف بمصطلح «الإسلاموفوبيا»

يتكون مصطلح الإسلاموفوبيا من مفردتين: «الإسلام»، و«فوبيا».

معنى كلمة الإسلام في اللغة:

تطلق ويراد بها الخضوع والاستسلام والانقياد لله تعالى(١).

وكذلك تطلق ويراد بها: إسلام الوجه لله والتسليم له طوعًا، واختيارًا كإسلام الأنبياء والمرسلين والمؤمنين من بني آدم لربهم واستسلامهم لشرعه ودينه، قال تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا}(٢)، وقال تعالى:{أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ}(٣).

وفي الإصطلاح الإسلام؛ هو: «الخضوع والانقياد لما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم أو هو الدين الذي جاء به الأنبياء جميعًا» (٤).

قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} (٥).

---

(١) ينظر: «المعجم الوسيط» تأليف: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، (ص: ٤٤٦)، الناشر: دار الدعوة، دون.

(٢) [النساء: ١٢٥].

(٣) [آل عمران: ٨٣].

(٤) ينظر: «التعريفات» تأليف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط: الأولى: ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

(٥) [المائدة: ٤٤].

وكما قال تعالى حاكيًا عن نوح عليه السلام: {فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} (١).

وكما قال تعالى: {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا} (٢).

وقال تعالى حاكيًا عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمِ﴾(٣).

وقال تعالى حاكيًا عن سحرة فرعون: ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾(٤).

وقال تعالى حاكيًا عن فرعون: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يرغبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ* إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(٦).

---

(١) [يونس: ٧٢].

(٢) [آل عمران: ٦٧].

(٣) [البقرة: ١٢٨].

(٤) [الأعراف: ١٢٦].

(٥) [يونس: ٩٠].

(٦) [البقرة: ١٣٠، ١٣١].

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾(١).

وقال تعالى: {وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ}(٢).

ويمكنني أن أختم تعريف الإسلام بتعبير الشيخ شلتوت –رحمه الله– الإسلام: هو دين الله الذي أوصى بتعاليمه في أصوله وشرائعه إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وكلفه بتبليغه للناس كافة، ودعوتهم إليه(٣).

«أما كلمة «فوبيا» فهي يونانية الأصل (phobos) ولذلك عند الرجوع إلى المعاجم اللغوية لا تجد لها معنى، وتشير هذه الكلمة كما تثبت في المعاجم النفسية إلى معانٍ عدة من أهمها: الخوف والرهبة» (٤)، ويستخدم هذا المصطلح كثيرًا مع غيره، مثل الخوف من الإسلام، والخوف من الفقر، والخوف من البطالة وهكذا.

وقد عرفت المعاجم النفسية مصطلح «الفوبيا» بقولها: «إنها قلق عصبي أو عصاب نفسي، لا يخضع للعقل، ويساور المرء بصورة جامحة من حيث كونه رهبة في النفس شاذة عن المألوف تصعب السيطرة عليها أو التحكم فيها، ينطوي على طابع مرضي، وينشأ عادة من جراء تجارب

(١) [آل عمران: ٥٢].

(٢) [المائدة: ١١١].

(٣) ينظر: «الإسلام عقيدة وشريعة» تأليف الشيخ محمود شلتوت، (ص: ٧)، الناشر: دار الشروق– القاهرة، ط: الثامنة عشرة، ١٤٢١هـ– ٢٠٠١م.

(٤) وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: {وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ} [القصص: ٣٢].

سابقة غير سارة، ومترسبة في اللاشعور، والشخص الذي يعتريه الخوف لا يفهم طبيعة هذا القلق المرضي» [١].

وتطلق الفوبيا أيضًا على كثير من الأحوال منها:

فوبيا الطيران، فوبيا الماء، فوبيا الأماكن المرتفعة، فوبيا الظلام، ....إلخ.

فحقيقة المصطلح ومعناه يشير إلى الخوف الشديد الذي قد يشعر به مصابه من الأشياء دون معرفة سببه، «ويُعَدُّ الفوبيا مرضًا من الأمراض النفسية التي اهتم علم النفس بعلاجها وإيجاد حلول لها، لما لها من آثار سلبية على صاحبها»[٢].

تعريف الْخَوْف: هو «عبارة عن شعور بالرهبة والقلق من بعض المواقف والأحداث التي تثير الهلع في نفس الإنسان، والذي يشكل عائقًا في حياته ويؤثر كثيرًا في مستقبله» [٣].

وعرفه صاحب المعجم الفلسفي بقوله: الخوف هو انفعال نفساني يعرض عن تصور شر قريب الوقوع[٤].

أو هو: انفعال فِي النَّفس يحدث لتوقع مَا يرد من الْمَكْرُوه أَو يفوت من المحبوب[١]

---

(١) ينظر: «موسوعة علم النفس» تأليف: أسعد مرزوق، (ص: ١٠٩)، مراجعة: عبد الله الدايم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط: الثالثة: ١٩٨٧م.

(٢) ينظر: «موسوعة علم النفس»، (ص: ١٠٩).

(٣) ينظر: «خرافة الإسلاموفوبيا» تأليف أ.د: الدراجي زروخي، (ص: ١٣)، الناشر: منشورات مخبر الدراسات الأنثربولوجية والمشكلات الاجتماعية جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، ط: الأولى: ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م.

(٤) ينظر: «المعجم الفلسفي» تأليف جميل صليبا، (٥٤٥/١)، الناشر: دار الكتاب اللبناني، بيروت– لبنان ١٩٨٢م.

وقد اصطلح على ترجمتها بـ«الرُّهَاب» على وزن -فُعَال-[٢]، وهو مصطلح جديد لمعنى قديم يؤدي إلى خوف لاشعوري وغير مبرر من مواقف أو أشخاص أو نشاطات أو أجسام معينة[٣].

والذي يهمنا في هذا البحث هو تحديد معنى «الإسلاموفوبيا» بوصفه مصطلحًا مركبًا، فيشير بعض الباحثين -كالدكتور سعيد اللاوندي- إلى أن مصطلح فوبيا الإسلام جاء من اللغة الفرنسية؛ فهو «يشير في حقيقته إلى ما تم ترسيخه في أذهان الغرب عن طريق الحملات الإعلامية بجميع أشكالها لتشويه صورة الإسلام والشخصية الإسلامية؛ حيث أصبحت تشكل لهم خوفًا وقلقًا كبيرين» [٤].

لقد أصبحت لفظة "إسلاموفوبيا" مصطلحًا جامعًا ودالًّا على عمليات التشويه والتمييع لصورة الإسلام انطلاقًا من مرض الخوف منه، «إنه المصطلح الأكثر تعبيرًا عن عقدة الخوف والهلع من انتشار الإسلام ونفوذ قوته الدينية والثقافية والبشرية داخل المجتمعات والدول الغربية، وتدل اللفظة

=

(١) ينظر: «المعجم الوسيط» (١/ ٢٦٢).

(٢) ينظر: «الخوف من الإسلام»، (ص: ٨)، ط: المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، النجف- العراق، بدون.

(٣) ينظر: «الإسلاموفوبيا» د: علي محمد علي، (ص: ٢٩٠٣) بحث محكم بمجلة الدراسات العربية- كلية دار العلوم جامعة المنيا، المجلد السابع والثلاثون، العدد السادس، يناير ٢٠١٨م.

(٤) ينظر: «فوبيا الإسلام في الغرب» د: سعيد اللاوندي، (ص: ١٤)، ط: دار أخبار اليوم، ط: الأولى ٢٠٠٦م.

كذلك على ما تم ترسيبه وتكريسه وإشاعته من قلق مرضي وخوف نفسي لاشعوري لدى الغرب من الإسلام، وكل ما يتصل به» [١].

وفي ضوء ما سبق، نستخلص أن هذا المصطلح تعبير يستخدمه الغرب لوصف الإسلام بأنه دين يدعو إلى الكراهية والعنصرية، ويصور هذا المصطلح عند أصحابه من الغرب أن هذا الدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، هو دين متوحش، دين القتل وسفك الدماء، والتشريد، دين العنف والكراهية، فنسبوا إليه الإرهاب والتطرف، إلى غير ذلك.

المطلب الثاني: السياق التاريخي لنشأة مصطلح «الإسلاموفوبيا»

«قد يظن البعض أن أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م كانت البداية لوجود مصطلح الإسلاموفوبيا، والصحيح أنها حلقة من حلقات المخطط الذي بدأ قبل ذلك بكثير، لكنها بلا شك كانت البداية الفعلية لظهور المصطلح إلى العلن وعلى كل الأوساط مستخدمًا آلة الإعلام الغربي للترويج والدعاية، وقد أصبح المصطلح نفسه (الإسلاموفوبيا) ليس هدفًا في ذاته، وإنما بوابة للولوج عبرها إلى تحقيق أهداف استعمارية وعقائد توسعية وبشكل جديد» [٢].

(١) ينظر: «دور الإعلام في معالجة ظاهرة الخوف من الإسلام (الإسلاموفوبيا)» مجموعة من المؤلفين، (ص: ٤٤) ندوة علمية عقدت في الفترة ٢٠- ٢٢ شوال ١٤٢٧هـ / ١١-١٣ نوفمبر ٢٠٠٦م بحلب، سوريا، الناشر: منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة- إيسيسكو ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

(٢) ينظر: «المرجع السابق»، (ص: ١٠٨).

وقد لا نخطئ ولا نبالغ ولا يجانبنا الصواب، إذا قلنا «إن تاريخ توتر العلاقات بين الغرب والإسلام يعود إلى اللحظة التي ظهر فيها الإسلام، أي إلى القرن السابع الميلادي» [١].

وقد أشار القرآن الكريم إلى شيء من هذا، قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾[٣]. إلى غير ذلك من الآيات التي تحدثت عن تاريخية الصراع الغربي مع الإسلام[٤].

«وهذا ما اعترف به كثير من الغربيين، وللجنرال (جلوب باشا) موقف صريح يُحمد له، يُعلن فيه أن موقف الغرب –الديني والسياسي– من الشرق الإسلامي، ومشكلة هذا الغرب مع هذا الشرق –التي سميت بـ «مشكلة الشرق الأوسط»– إنما تعود جذورها إلى ظهور الإسلام، وليس –كما يحسب البعض– إلى قيام الكيان الصهيوني (١٩٤٨م)، أو «وعد بلفور» (١٩١٧م)، أو «اتفاقية سيكس بيكو» (١٩١٦م)، ولا حتى «المسألة الشرقية» العلاقات الأوروبية العثمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، يقول جلوب باشا: «إن تاريخ مشكلة الشرق الأوسط –أي مشكلة

(١) ينظر: «الإسلام والغرب: افتراءات لها تاريخ» تأليف أ.د: محمد عمارة، (ص: ٨)، ط: مركز الإعلام العربي، ط: الأولى ١٤٢٧هـ– ٢٠٠٦م.

(٢) [البقرة: ١٠٩].

(٣) [البقرة: ٢١٧].

(٤) ينظر: «الإسلام والغرب: افتراءات لها تاريخ»، (ص: ٨).

الغرب مع الشرق الإسلامي- إنما تعود إلى القرن السابع للميلاد، أي إلى ظهور الإسلام»[١].

الحقد الصليبي من العصور الوسطى حتى الحروب الصليبية

لقد عاود نجم الخوف من الإسلام مع الفتوحات الإسلامية؛ «فظهور الإسلام وانتشاره ودخول شعوب نصرانية في دين الإسلام، والفتوحات الإسلامية التي حررت الشرق من الاستعمار الغربي (الإغريقي الروماني) الذي دام عشرة قرون، والفروسية الإسلامية التي اقتلعت الاستيطان الصليبي الذي دام قرنين من الزمان، كل ذلك جعل هذه المؤسسة تصب جام غضبها وكامل حقدها على هذا الوافد الجديد الذي زاحمها في مناطق نفوذه واقتحم معاقلها»[٢].

«فلقد أثار الامتداد الإسلامي في أوروبا منذ فتح القسطنطينية عام (١٤٥٣م) حفيظة الغرب المسيحي الذي أصبح نفوذه متقهقرًا، مما دفع برجال الدين للطواف في أرجاء المدن الأوربية منددين بالخطر القادم من الجزيرة العربية، وتحت غطاء الصليب والدفاع عن مقدّسات الرّب[٣]، شنت الكنيسة حملات إرهابية شرسة ظلت آثارها محفورةً في الذاكرة الغربية، تناقلتها الأجيال عبر العصور في موجة من العداء والحقد الذي لا ينتهي لما خلفه الصراع مع الوافد الجديد»[٤].

---

(١) ينظر: «روائع الكتب الإسلامية» تأليف أ.د: محمد عمارة، (ص: ٧٨)، ط: روابط للنشر، أرض الجولف، مدينة نصر، ط: الأولى ٢٠١٩م.

(٢) ينظر: «الخوف من الإسلام» الشيخ كاظم الصالحي، (ص: ٧).

(٣) ينظر: «واقعنا المعاصر والغزو الفكري» صالح حسين الرقب، (ص: ٢٠)، ط: الدار العالمية للتجليد ٢٠١٠م.

(٤) ينظر: «الإسلام والغرب والمستقبل» أرنولد توينبي، (ص: ٣٨)، ترجمة: نبيل صبحي، ط: الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت ١٩٦٩م.

«ويزخر التاريخ بسلسلة من المواجهات بين الشرق والغرب كرست للنظرة العدائية من جانب الغرب حيال الإسلام وأهله، خاصة أن هذه المواجهات لم تتوقف عند حدود معركة اليرموك بل تعدتها إلى سلسلة طويلة من مواقف المجابهة العنيفة التي سجلها التاريخ في العديد من المعارك الحاسمة التي جسد بعضها –أو كاد– تهديدًا جديًّا للعالم الغربي، كفتح الأندلس سنة (٩٢هـ)، ومعركة بلاط الشهداء (لابوتيه) سنة (١١٤هـ)، وفتح القسطنطينية على يد العثمانيين سنة (٨٥٧هـ)... إلخ، قائمة لا تكاد تنتهي من وقائع الصراع الدامي بين الجانبين» [١].

والحقيقة أن الذين درسوا الحروب الصليبية خرجوا بجملة من الأسباب والدوافع لها، منها الاقتصادية، والتجارية، والسياسية، «لكن المتعمق في دراستها يكشف أنها جاءت بقرار ديني، وتُعَدُّ أول تجربة استعمارية خاضها الغرب الأوربي خارج حدوده، أسقط فيها ضعفه على الشرق العربي الإسلامي، محاولًا إيجاد حل لمشاكله المتفاقمة دينيًّا، واجتماعيًّا، واقتصاديًّا، وهنا نستحضر ما قاله المؤرخ البريطاني الشهير (أرنولد توينبي) [٢] حول نكبة المسلمين بعد الحرب العالمية الأولى حيث قال: «إننا نطارد الرجل المريض ونهاجمه لكي يترك دينه؛ لأنه كان ينظر

(١) ينظر: «المرجع السابق»، الصفحة نفسها.

(٢) آرنولد توينبي: مؤرخ بريطاني ولد سنة (١٨٨٩م) من أشهر المؤرخين في القرن العشرين، اشتهر بعمله في دراسة على التاريخ وتحليل الحضارات، أهم مؤلفاته: دراسة للتاريخ، ويعد هذا الكتبا من أهم مرلفاته لأأنه ضرع فيه منذ عام (١٩٢١م) وانتهي منه (١٩٦١م)، كتاب من الشرق إلى الغرب: رحلة حول العالم، الحضارة في محك الاختبار، توفي سنة (١٩٧٥م). يراجع: «الإسلام ... والغرب.. والمستقبل» أرنولد توينبي، صفحة الغلاف، ط: دار العربية – بيروت ١٣٨٩ هـ.

إلينا من عالٍّ كأننا خنازير برِّيَّة، فلما ترك دينه وتَبِعنا احتقرناه؛ لأنه لم يعد عنده ما يعطيه»[١].

ويعود بنا الواقع لزعيم التنظير الغربي لفكرة الصدام بين الغرب والإسلام (صموئيل هنتنجتون) الذي أكد في معرض حديثه عن هذا الصراع والتدافع أنه بالأساس ذو صبغة دينية؛ حيث قال: «يقول بعض الغربيين بما فيهم الرئيس (كلينتون): «إن الغرب ليس بينه وبين الإسلام أية مشكلة، وإنما المشكلات موجودة فقط مع بعض المتطرفين الإسلاميين»، ثم يعقب هنتجون بقوله: «أربعة عشر قرنًا من التاريخ تقول عكس ذلك، العلاقات بين الإسلام والمسيحية كانت عاصفة غالبًا، كلاهما كان الآخر بالنسبة للآخر، صراع القرن العشرين بين الديمقراطية الليبرالية والماركسية اللينينية ليست سوى ظواهر سطحية وزائلة، إذا ما قورنت بعلاقة الصراع المستمر والعميق بين الإسلام والمسيحية غالبًا، كانت العلاقة علاقة تنافس واسع مع درجات مختلفة من الحرب الباردة»[٢].

ولقد أشار (برنارد لويس) [٣] إلى هذا الصراع بين الإسلام وأوروبا، قائلًا: (يجب أن يكون واضحًا الآن أننا نواجه تيارًا وحركة تتجاوزان بكثير

---

(١) ينظر: «الإسلام والغرب والمستقبل» أرنولد توينبي، (ص: ٣٨).

(٢) ينظر: «صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي» صموئيل هنتنجتون، (ص: ٣٣٨)، ترجمة: طلعت الشايب، تقديم د: صلاح قنصوة، الناشر: سطور، ط: الثانية ١٩٩٩م.

(٣) برنارد لويس: ولد في (١٩١٦م) في لندن، كيميائي أمريكي وأستاذ فخري بريطاني في جامعة برنستون، اهتم بدراسات الشرق الأوسط، وتخصص في تاريخ الإسلام، والتفاعل بين الإسلام والغرب، ألّف برنارد لويس عدة كتب وله عدة مقالات صحفية في «جريدة«The New Yorker ، تتمحور أغلب كتاباته حول الإسلام والشرق الأوسط وكذا المجتمعات الإسلامية، منها على سبيل المثال: الإسلام والغرب، العرب في التاريخ، أزمة الإسلام الحرب الأقدس والإرهاب المدني، توفي في (٢٠١٨م). يراجع: الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي (دراسة =

مستوى القضايا والسياسات والحكومات التي تلاحقهما، إن هذا ليس شيئًا أقل من صراع الحضارات، إنه رد فعل –ربما غير عقلاني– لكنه تاريخي لمنافس قديم موجه ضد ميراثنا اليهودي المسيحي، وضد حاضرنا الراهن) [1].

وخلاصة القول: إن البحث في مسألة الإسلاموفوبيا، تعود بنا للبحث في مسار العلاقة بين الغرب والإسلام، وهي علاقة قديمة متجذرة بدأت مع بزوغ فجر الإسلام ببعثة خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، واستمر انتشار الدين الإسلامي ليتجاوز بقعة الوحي في شبه الجزيرة العربية إلى أقاصي بقاع الأرض، وهنا بدأت معالم الخوف والتوجس والعداء تتبدي لدى الغرب إزاء الوافد الجديد، الذي أضحى ينافس الكنيسة في عقر دارها، بل ويصرف المؤمنين من أتباع المسيح لينقادوا للإسلام تحت راية محمد صلى الله عليه وسلم، وشيئًا فشيئًا نمت علاقة التوتر، والصراع، والتدافع بين الغرب والإسلام التي اشتعلت مع الحروب الصليبية في القرون الوسطى، وسيظهر ويُرفع الستار عن مصطلح الإسلاموفوبيا (ظاهرة الخوف الغربي من الإسلام) مع أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م، والسيناريو ما زال مستمرًا.

وهذا ما سيتناوله المطلب الأول من المبحث القادم .

=

تطبيقية على كتابات برنارد لويس) د: مازن المطبقاني، (ص: ٦٩)، ط: المملكة العربية السعودية– الرياض، ١٤١٦هـ– ١٩٩٥م.

(١) ينظر: «الإسلام الإصولي» تأليف: برنارد لويس، إداورد سعيد، (ص: ٣٠)، ط: دار الجيل– بيروت، ط: الأولى ١٤١٤هـ– ١٩٩٤م.

المبحث الثاني: الإسلاموفوبيا... استدعاء من جديد

المطلب الأول: فصل جديد بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر

المطلب الثاني: الإسلاموفوبيا: تمويه غربي لعلاقة عنصرية.

المطلب الأول: فصل جديد بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر

فور حدوث واقعة الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م)، تصاعدت موجات العداء الغربي للإسلام، استدعى الساسة والإعلاميون الغربيون مخزون «ثقافة الكراهية السوداء» للإسلام التي تراكمت عندهم منذ الحروب الصليبية، حتى كأن هذه «القارعة» هي الفرصة السانحة التي كشفت عن بشاعة هذا المخزون، والمصحوب بالإستعلاء الغربي والاذراء للإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم وأمته وحضارته.

فرئيسة وزراء إنجلترا السابقة «مارجريت تاتشر» تصرح، فتقول: «إن المسلمين الذين يرفضون القيم الغربية، وتتعارض مصالحهم مع مصالح الغرب، هم أعداء أمريكا وأعداؤنا، وإن هذه الأصولية الإسلامية هي مثل البلشفية–في الماضي– أيديولوجية عدائية تتطلب تبني استراتيجية طويلة المدى ليتسنى هزيتمها»[(١)].

وهي بهذا التصريح –من المرأة الحديدية– تكشف عن أهداف الغرب من وراء هذه الحملة، وهي تحقيق «المصالح» وفرض «القيم الغربية»، وأن هذا العداء إنما هو للإسلام الذي يتصدي لهذه المقاصد الغربية في بلاد الإسلام، وهذا يؤكد أن هذا المصطلح ذاع صيته وأخذ في الانتشار بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وأن العداء المستتر أصبح ظاهرًا باديًا للعيان في جلاء ووضوح تامين.

وفي يناير سنة (٢٠٠٢م) ينظر المستشرق الصهيوني «برنارد لويس» للحملة الصليبية الغربية على الإسلام وبلاده، فيوجه الاتهام، لا لما يسمى بالإرهاب، وإنما لذات الإسلام، فيقول: «إن إرهاب اليوم هو جزء من

(١) ينظر: «موسوعة الإسلام وقضايا العصر» أ.د: محمد عمارة، (٢٢٨/١)، ط: روابط للنشر، أرض الجولف، ط: الأولى ٢٠١٩م.

كفاح طويل بين الإسلام والغرب، فالنظام الأخلاقي الذي يستند إليه الإسلام مختلف عما هو في الحضارة الغربية (المسيحية، واليهودية)، وإن آيات القرآن تُصدّق على ممارسة العنف ضد غير المسلمين، وهذه الحرب هي حرب بين الأديان»[١].

في هذا الجو من التعصب والحقد الأعمى والعنصرية المقيتة البغيضة على الإسلام وأهله، تبلورت وظهرت على الساحة الفكرية ظاهرة الإسلاموفوبيا بهذا الاسم وهذا المصطلح، بعد هذه الأحداث صار هذا المصطلح علمًا على ظاهرة الخوف الغربي من الإسلام.

(١) ينظر: «موسوعة الإسلام وقضايا العصر»، (٢٢٩/١).

المطلب الثاني: الإسلاموفوبيا تمويه غربي لعلاقة عنصرية

التاريخ الغربي المسيحي قديمًا وحديثًا زاخر بأشكال مختلفة من العنصرية؛ فالممارسة العنصرية متجذرة في العقلية الغربية، فـ«أسطورة تفوق العرق الأبيض الغربي هي التي سيّرت ولا تزال تسيّر العقلية الغربية والمسيحية إلى اليوم» [١].

«عادة ما تناقش مسألة الإسلاموفوبيا بين المسلمين والغربيين بمنطق الدجاجة والبيضة؛ أي منطق من ولد الآخر أولًا، هل الدجاجة ولدت البيضة أولًا أم العكس؟ فالمسيحيون يعتبرون أن الإسلاموفوبيا مجرد رد فعل على إرهاب المسلمين، وبالتالي من حق المسيحيين حماية أنفسهم من هذا الخطر الإسلامي الداهم؛ ومن جهتهم تعتبر الجماعات المتطرفة أن الإرهاب الإسلامي ليس إلا رد فعل على الإسلاموفوبيا المتجذرة في الفكر الديني المسيحي، إلا أن واقع الأمر يشير إلى أن الإسلاموفوبيا استعملت كغطاء للعنصرية ومعاداة الأجانب» [٢].

فبالعودة إلى التاريخ الغربي سنجد أن القوى الغربية التي تدّعي التحضر والدفاع عن حقوق الإنسان هي نفسها التي أسست ونفذت أقصى مظاهر العنصرية بين الشعوب، «فمن روما إلى أوروبا وأمريكا اليوم، كانت العلاقة الغربية مع كل المجتمعات عمومًا والمجتمع الإسلامي خصوصًا، علاقة تتأسس على نظرة عنصرية للآخر؛ فتوسع روما كان توسعًا للتحضر على حساب البربر، والحروب الصليبية كانت تصحيحًا للوضع الذي خلقه المتوحشون القادمون من الشرق، والحركة الاستعمارية كانت من أجل إنقاذ

(١) ينظر: «رهاب الإسلام.. الإسلاموفوبيا» أوراق بحثية، تحرير: مدثر محمد، آلاء الصديق، (ص: ٢٤)، ط: منتدى العلاقات العربية والدولية.

(٢)ينظر: «المرجع السابق»، (ص: ٣٠).

الشرق من الظلامية والاستبداد، والحروب الأمريكية والغربية ضد المسلمين اليوم هي من أجل مكافحة الإرهاب، وصد خطر الإسلام الذي يهدد الحضارة الغربية» [١].

ولا يخفى على أحد ما قامت به القوى الاستيطانية والاستعمارية بالشعوب التي غزتها أو احتلتها، ولا نحتاج إلى الكثير من البراهين لنثبت أن الجرائم المسيحية الغربية تحتل المرتبة الأولى في كل الأزمنة من حيث عدد المآسي المرتكبة ضد الإنسانية، «ويكفي أن نتذكر الشعوب التي أُبيدت عن بكرة أبيها في أمريكا الشمالية والجنوبية وفي أستراليا ونيوزيلندا ومختلف مناطق آسيا وإفريقيا، إن حجم الجرائم التي ارتكبها الغرب في حق هذه الشعوب لا يقارن مع ما ينسب للعنف الإسلامي؛ فعندما يتعلق الأمر بالعنف نلاحظ تضخيم الأرقام المنسوبة للإسلام، وتهوين أو تجاهل أرقام العنف الممارس من غير المسلمين وضدهم، رغم أن إحصاءات الضحايا المسلمين جرّاء عنف التطرف المسيحي أو اليهودي أو البوذي لا تقارن مع ما ينسب للمسلمين، يقول (أليكس شميد) في هذا الصدد: {المتطرفون السُّنة مسئولون عن (٥٦%) من أكثر من (١٠٠٠) هجمة في مختلف أنحاء العالم خلال السنتين الماضيتين}، لكن ماذا تمثل هذه الهجمات مع أكثر من مليون ونصف شهيد قتلتهم القوى الاستعمارية الفرنسية في الجزائر في ظرف سبع سنوات، دون احتساب الملايين الأخرى من الذين قتلتهم وشردتهم خلال قرن ونصف من الاستعمار؟ وماذا تمثل هذه الإحصائية بالمقارنة مع ما فعلته الولايات المتحدة الأمريكية بالسكان الأصليين وبالزنوج؟ يقدر (ديفيد ستانارد) (David Stannard) عدد هذه الجرائم والاعتداءات على النحو التالي: (هناك أهوال تجارة العبيد الأفارقة التي تقدر

(١)ينظر: «رهاب الإسلام.. الإسلاموفوبيا» أوراق بحثية، (ص: ٢٤).

على الأقل بـ (٣٠,٠٠٠,٠٠٠) وأيضًا ما بين (٤٠.٠٠٠,٠٠٠ إلى ٦٠,٠٠٠,٠٠٠) الذين قُتلوا أو ماتوا حتى قبل أن ينالوا فرصة الشروع في العمل بالمزارع في أمريكا، وفي الأخير هناك العدد الإجمالي لإبادة الهنود الأمريكيين، وما يشبه الإبادة بالنسبة للآخرين الذي يقارب الـ (١٠٠,٠٠٠,٠٠٠) هذا في جهة واحدة من العالم، ولكم أن تتصوروا حجم الجرائم في كل العالم، وتقارنوه مع جرائم ما يسميه الغرب بالعنف والخطر الإسلامي)» [١].

«كل هذا بدعوى وهمية تتمثل في الخطر الإسلامي الداهم؛ فبالنظر إلى مستوى الدمار المادي والمعنوي الذي ألحقه الغرب بالمسلمين في القرنين الأخيرين على الأقل، كان الأولى أن تكون هناك «غربوفوبيا Occidentalophobia» بدلًا من الإسلاموفوبيا؛ لأن الخطر الحقيقي الذي يهدد العالم هو بقاء هذه النزعة التوسعية والعنصرية الغربية واستمرارها» [٢].

إن ما أود الوصول إليه هنا أن فكرة الخوف من الإسلام ليست وليدة صراع بين الإسلام والمسيحية، بل هي وليدة فكر متطرف استحدثته الكنيسة المسيحية، وعملت على تغذيته من خلال عدم الاعتراف بالإسلام دينًا ولا بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم رسولًا، وذلك لوقف المد الإسلامي الذي قضى بفتوحاته على الأخضر واليابس وغزا المسيحية في عقر دارها، وهذا ما يدحض الانطباع العام الذي يفيد بأن الإسلاموفوبيا هي مجرد رد فعل على العنف الإسلامي.

(١)ينظر: «رهاب الإسلام.. الإسلاموفوبيا» أوراق بحثية، (ص: ٢٦).

(٢)ينظر: «المرجع السابق»، (ص: ٢٦).

المبحث الثالث: الصورة النمطية للاسلام والمسلمين في المتخيل الغربي

المطلب الأول: الصورة النمطية عن الإسلام عند الساسة وقادة الرأي الغربي

المطلب الثاني: الصورة النمطية عن القرآن الكريم في المتخيل الغربي

المطلب الثالث: الصورة النمطية عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم في المتخيل الغربي

المطلب الرابع: الصورة النمطية للإسلام والعرب في الموسوعات والكتب المدرسية

المطلب الخامس: تجليات خطاب الكراهية الخاص بالعرب في الإعلام الغربي.

مدخل:

الإساءة للإسلام وحضارته ومحاولة الترويج للصورة النمطية الكريهة والمسيئة وتشويه صورة الإسلام والمسلمين، يمكن القول إن الأمر ليس جديدًا في المجتمعات الغربية، بل هي ظاهرة قديمة لكنها متجددة؛ فالغرب المسيحي يستمد صورته الذهنية عن الإسلام من خلال الوقائع العنيفة والأحداث المتكررة بين الإسلام والغرب على مر تاريخه الممتد، وخاصة خلال القرون الوسطى وإلى نهاية الحروب الصليبية؛ بيد أن النظرة إلى الإسلام وقتئذ كانت شعبية مفعمة بالحقد والكراهية والعنصرية ونبذ الإسلام، ومشبعة كذلك بالخيالات الغربية والتصورات الموغلة في التهويل والتشويه والتمييع، وإليك بيان هذه الصورة وتجلياتها في الخطاب والمتخيل الغربي.

المطلب الأول: الصورة النمطية عن الإسلام عند الساسة وقادة الرأي الغربي

تكونت الصورة النمطية عن الإسلام من خلال الموقف الأوروبي التاريخي من الإسلام، إنها حصيلة الصورة الذهنية التي ارتسمت في مخيلة مجتمعات أوروبا في ذلك الوقت عن الدين الجديد الذي غزا العالم، وأتى ليعيد صياغة العلاقات ليس فقط بين المجتمعات، بل وبين البشر، وكذلك علاقة البشر بالخالق. وللتعرف على الصورة الذهنية في فكر هؤلاء، سوف أسوق نماذج على ذلك.

وقد وجدت تشابهًا كبيرًا في الأفكار والمآخذ نفسها على الإسلام عند معظم كُتّاب هذه المرحلة التاريخية؛ فعلى سبيل المثال نجد الكاتب (كندروسي) [1] (Candrocet) ألف كتابًا يصف فيه الإسلام بأنه من أكثر الأنظمة استبدادًا؛ حيث قال: «بالنظر إلى كل الأنظمة السياسية والدينية

(١) لم أقف على ترجمة له.

التي يرزح تحتها الجنس البشري، فإن النظام الإسلامي هو أكثر هذه النظم التي لا تترك مجالًا للحرية»[١].

وعندما احتلت فرنسا الجزائر (١٣٤٦هـ. ١٨٣٠م) لم تنسها علمانيتها المتوحشة الحقد النصراني الصليبي على الإسلام والمسلمين، فاعتبرت انتصارها هذا انتصارًا للمسيحية على الإسلام، وسجل رفاعة الطهطاوي هذه الحقيقة، وكان شاهد عيان عليها يومئذ بباريس؛ فقال: «إن المطران الكبير بباريس لما سمع بأخذ الجزائر (احتلالها)، – وقد دخل الملك شارل العاشر الكنيسة يشكر الله على ذلك، جاء إليه المطران ليهنئه على هذه النصرة، فقال: إنه يحمد الله على كون الملة المسيحية انتصرت نصرة عظيمة على الملة الإسلامية، ولا تزال كذلك»[٢].

وبعد قرن من الزمان، احتفل الفرنسيون بمرور مائة عام على احتلالهم للجزائر (١٣٤٩هـ – ١٩٣٠م) ماذا قالوا في الخطب والكلمات التي عبّرت عن حقدهم الصليبي على الإسلام، لقد خطب أحد كبار ساستهم، فقال: «لا تظنوا أن هذه الاحتفالات من أجل بلوغنا مائة عام في هذا الوطن، فلقد أقام الرومان قبلنا فيه ثلاثة قرون، ومع ذلك خرجوا منه، ألا فلتعلموا أن مغزى هذه الاحتفالات، هو تشييع جنازة الإسلام بهذه الديار، وستكون الجزائر مهدًا لحضارة روحها الإنجيل، لقد ولى عهد الهلال وأقبل عهد الصليب»[٣].

«وفي نوفمبر سنة (٢٠٠١م)، يعيد المفكر الإستراتيجي الأمريكي، «صموئيل هنتنجتون» طرح نظريته في صدام الحضارات وصراع الثقافات،

(١) ينظر: «دور الإعلام في معالجة ظاهرة الخوف من الإسلام (الإسلاموفوبيا)» مجموعة من المؤلفين، (ص: ٢٧).

(٢) ينظر: «الإسلام والغرب..افتراءات لها تاريخ»، (ص: ٤١).

(٣) ينظر: «المرجع السابق»، (ص: ٤٢).

صراع الغرب ضد الإسلام، فيقول: «نريد حربًا داخل الإسلام، حتى يقبل الحداثة الغربية والعلمانية الغربية، والمبدأ المسيحي فصل الدين عن الدولة»؛ فالمطلوب تفريغ الإسلام من الإسلام»[١].

ويخطب الجنرال الأمريكي «ويليام ج بويكن» نائب وزير الدفاع وقائد فرقة الاغتيالات- التي دربها الصهاينة لاغتيال علماء العراق وخبرائه وكبار ضباطه- في إحدى الكنائس الأمريكية وهو يرتدي زيه العسكري؛ فيوجه الإهانات لإله المسلمين، ودينهم، ورسولهم.. فيقول: «إن إلهنا أكبر من إله المسلمين، إن إلهنا إله حقيقي، وإله المسلمين صنم، وإنهم يكرهون الولايات المتحدة الأمريكية لأنها أمة مسيحية يهودية، وإن حربنا معهم هي حرب على الشيطان، وإن دين الإسلام هو دين شيطاني شرير، ومحمد هو الشيطان نفسه»، ويرفض «رامسفيلد»[٢]. الاعتذار عن كلام نائبه بحجة أنها حرية رأي وتعبير»[٣].

وفي سنة ٢٠٠٦م، نشر الكاردينال «جوزيف راتزينجر»[٤] -البابا بنديكيت السادس عشر- نشر كتابًا- في نيويورك- عنوانه: [بلا جذور:

(١) ينظر: «موسوعة الإسلام وقضايا العصر»، (٢٢٨/١).

(٢) دونالد هنري رامسفيلد: ولد سياسي ورجل أعمال أمريكي متقاعد، ولد سنة (١٩٣٢) شغل رامسفيلد منصب وزير الدفاع الأمريكي الثالث عشر في الفترة (١٩٧٥) إلى (١٩٧٧م) في عهد الرئيس (جيرالد فورد) ثم أصبح وزير الدفاع الحادي والعشرين في الفترة من (٢٠٠١) إلى (٢٠٠٦م) في عهد الرئيس (جورج دبليو بوش)، كذلك كانو عضوا لمجلس النواب لثلاث سنوات، ومستشار الرئيس من (١٩٦٩م) إلى (١٩٧٣م). توفي (٢٠٢١م). يراجع: ttps://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AF%D9%88%D9%86%D8%

(٣) ينظر: «موسوعة الإسلام وقضايا العصر»، (٢٣٠/١).

(٤) جوزيف راتزينجر البابا بندكتوس السادس عشر: ولد سنة (١٩٢٧م) في ألمانيا، تولى منصبى خلفا للبابا يوحنا الثاني، درس الفلسفة وعلم اللاهوت، وهو أول بابا ألماني يرأس الفاتيكان منذ خمس قرون، أعلن استقالته من منصبه بسبب تقدمه في السن =

الغرب، الكنيسة، المسيحية، الإسلام] مارس فيه تخويف الغرب من الإسلام، وأعلن:

«أنه يخشى أن تصبح أوروبا جزءًا من دار الإسلام في القرن الواحد والعشرين»[١].

وفي يناير سنة (٢٠٠٨م)، منح الرئيس الفرنسي «ساركوزي» جائزة «سيمون دي بوفوار» للكاتبة البنجلاديشية «تسليمة نسرين»[٢] التي احترفت التهجم وعلى الإسلام ومقدساته[٣].

ولا يخفى على أحد أن هذه هي صورة الإسلام التي ارتسمت في الوعي الغربي وتم تصديرها إلى الشعوب، وعملت على تغذيتها أجهزة معنية بوسائل عدة منها، وسائل الإعلام الغربي بشتى صوره وأنواعه، بالإضافة خطابات الساسة وقادة الرأي الغربي والتي لها تأثير في العقل الجمعي للشعوب.

=

وفقدانه لحيويته، ليكون بذلك أول بابا يستقيل منذ عهد البابا غريغوري الثاني عشر في (١٤١٥م)، أبرز مؤلفاته: مدخل إلى الإيمان المسيحي، يسوع الناصري، تجميع الأعمال الكاملة للبابا بندكيت السادس عشر، وأخطرها كتابه (بلا جذور: الغرب، الكنيسة، المسيحية، الإسلام) حيث هاجم فيه الإسلام بضراوة، توفي ديسمبر (٢٠٢٢م). يراجع: https://www.christianlib.com/tag

(١) ينظر: «بلا جذور: الغرب، الكنيسة، المسيحية، الإسلام» جوزيف راتزينجر، (ص: ١٢٣) ترجمة: مروان محمد أبوفارة، الناشر: عالم الفوائد، بدون.

(٢) تسليمه نسرين: ولدت سنة (١٩٦٢م) كاتبة تحمل الجنسية السويدية من أصل بنغلاديشي وطبيبة سابقة، حصلت على شهرة عالمية بسبب مقالتها ورواياتها التي ناصرت فيها المرأة وانتقاد الأديان بشكل عام والإسلام بشكل خاص بعد ارتدادها عن الإسلام. يراجع: https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AA%D8%B3%D9%84%D9%8A%D9

(٣) ينظر: «موسوعة الإسلام وقضايا العصر»، (٢٣١/١).

المطلب الثاني: الصورة النمطية عن القرآن الكريم في المتخيل الغربي

وإذا كان القرآن الكريم قد علّم المسلمين أنه قد جاء مصدّقًا لما بين يديه من الكتب السماوية التي نزلت على سائر الأنبياء والمرسلين، وتحدث عن صحف إبراهيم، وزبور داوود عليهما السلام، وقال عن توراة موسى عليه السلام: {فِيهَا هُدًى وَنُورٌ}(١)، وعن إنجيل عيسى عليه السلام: {فِيهِ هُدًى وَنُورٌ}(٢)، وعلى الرغم من هذا أبان هؤلاء وأفصحوا عن مكنوناتهم وعدائهم وحنقهم وحقدهم على القرآن الكريم، والأمثلة على ذلك من أقوالهم.

قال (مارتن لوثر) (٣) عن القرآن الكريم: «لقد استيقنت أنه لا يمكن عمل شيء أكثر إزعاجًا لمحمد، ولا أشد ضررًا (أشد من جميع أنواع السلاح) من ترجمة قرآنهم ونشره بين المسيحيين، عندئذ سيتضح لهم أيّ كتاب بغيض وفظيع وملعون هذا القرآن، مليء بالأكاذيب والفظائع»(٤).

---

(١) [المائدة: ٤٤].

(٢) [المائدة: ٤٦].

(٣) مارتن لوثر: ولد سنة (١٤٨٣م) في الامبراطورية الرومانية، كاهن لاهوتي ألماني، وهو أحد أبرز الشخصيات في الإصلاح البروتستانتي في القرن السادس عشر، قدم لوثر ترجمة مهمة للكتال المقدس إلى الألمانية، من أبرز مؤلفاته: الحرية المسيحية، العبادة الحقيقية، المعترفة الكبيرة، توفي سنة (١٥٤٦م). يراجع: «قصة الحضارة» وِل ديورَانت، (٢٤– ٢٩/ ١)، تقديم: الدكتور محيي الدّين صَابر، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرين، الناشر: دار الجيل، بيروت – لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨م.

(٤) ينظر: سلسلة في التنوير الإسلامي: «صورة الإسلام في التراث الغربي» (دراسات ألمانية) ترجمة أ. ثابت عيد، (ص: ٢١)، تقديم أ.د: محمد عمارة، ط: نهضة مصر للطباعة والنشر، نوفمبر ١٩٩٩م.

وجدير بالذكر، فإن (توما الأكويني)[١] لا يستخدم كلمة القرآن إطلاقًا، وإنما يحل محلها عبارة «قوانين محمد»[٢].

ويصف (فولتير) [٣] القرآن الكريم الذي لا يعترف بربانية مصدره؛ بأنه جملة من التناقضات والغرائب، وبه جهل كبير[٤].

أما (مونتسكيو) [٥] (Montesquieu) فلم يذهب بعيدًا عن ما ذهب إليه (فولتير)؛ حيث إنه لم يرَ في القرآن «إلا مجموعة من الأشياء

(١) توما الاكويني: فيلسوف ولاهوتي كاثوليكي إيطالي، عالما دينيا وفيلسوفا مسيحيا، ولد سنة (١٢٢٥م)، من أبرز مؤلفاته: الخلاصة اللاهوتية وهذا المؤلف هو أشهر مؤلفاته على الإطلاق يقع في خمس مجلدات، قدم توما العديد من التعليقات المهمة على أعمال الفيلسوف أرسطو، بما في ذلك؛ "حول الروح"، و"الأخلاق النيقوماخية"، و"الميتافيزيقيا" وتوفي سنة (١٢٧٤م). يراجع: «المستشرقون» نجيب العقيقي (ص: ١٢٨). ، الناشر: دار المعارف – مصر، ط: الثالثة بدون.

(٢) ينظر: «الإسلام والمسيحية»، (ص: ٨٦).

(٣) فولتير: كاتب وروائي فرنسي، ولد في ٢١ نوفمبر (١٦٩٤م) في باريس، فرنسا، من أبرز الكتاب والفلاسفة في عصر التنوير (القرن الثامن عشر) من أهم أعماله: مقالات فلسفية، الرسائل الفلسفية، تاريخ الحكمة، وله مسرحيات منها: مسرحية محمد. توفي في ٣٠ مايو سنة (١٧٧٨م) في باريس. يراجع: موسوعة المستشرقون د: عبد الرحمن بدوي، (ص: ١٧٦)، ط: دار العلم للملايين –بيروت، ط: الثالثة ١٩٩٣م.

(٤) ينظر: «دور الإعلام في معالجة ظاهرة الخوف من الإسلام (الإسلاموفوبيا)» مجموعة من المؤلفين، (ص: ٢٦).

(٥) مونتسكيو: فيلسوف فرنسي من فلاسفة عصر التنوير، ولد سنة (١٦٨٩م) تعلم الحقوق، وأصبح عضو برلمان سنة (١٧١٤م)، من أبرز مؤلفاته: الرسائل الفارسية، نظرات في أسباب عظمة الرومان وانحطاطهم، وأهمها وأشهرها روح القوانين، توفي سنة (١٧٥٥م). يراجع: قصة الحضارة (٣٦/ ١٤٨).

الصغيرة، حيث نجد لغة ربانية وأفكارًا بشرية»[١].

ولقد قال الشاعر الألماني الشهير (جوته)[٢] عن القرآن: «إنه الكتاب الذي يكرر نفسه تكرارات لا تنتهي، فيثير اشمئزازنا دائمًا كلما شرعنا في قراءته»[٣].

وحتى الرجل الذي أنصف نبي الإسلام، وجعله أعظم العظماء «توماس كارليل»[٤]؛ رأيناه يقول عن القرآن الكريم: «إن محمدًا شيء والقرآن شيء آخر؛ فالقرآن هو خليط طويل وممل ومشوش، جاف، وغليظ، باختصار هو غباء لا يحتمل»[٥].

ويدَّعي بابا الفاتيكان أن القرآن أضيفت إليه أوامر اللئام التي تحض على الإكراه في الدين[٦].

---

(١) ينظر: «دور الإعلام في معالجة ظاهرة الخوف من الإسلام (الإسلاموفوبيا)»، (ص: ٢٧).

(٢) يوهان جوته: ولد في ألمانيا سنة (١٧٤٩م) أحد أشهر أدباء ألمانيا المتميزين، ترك إرثا أدبيا وثقافيا ضخما للمكتبة الألمانية، أبرز مؤلفاته: الرحلة الإيطالية، الديوان الغربي فرتو، ومن المسرحيات نزوة عاشق، والمتواطئون، كلافيجو، ايجمونت، وفاته (١٨٣٢م). يراجع: قصة الحضارة (٤١/ ٢٤٥).

(٣) ينظر: «صورة الإسلام في التراث الغربي»، (ص: ٢١).

(٤) توماس كارليل، مستشرقٌ إنجليزي، ولد في اسكوتلندة، في سنة (١٧٩٥م)، أحدُ كبارِ كُتَّاب الإنجليز كان فيلسوفا ومؤرخا وكاتب مقلات ساخر، أخذ العربيةَ في بغداد، وكان أستاذًا للعربية في "كمبردج" ببريطانيا، من أبرز مؤلفاته كتاب: "الأبطال"، وعبادة الأبطال في التاريخ، محمج المثل الأعلى. توفي: (١٨٨١م). يراجع: قصة الحضارة، (١٣/ ٢٧٢)

(٥) ينظر: «الإسلام والغرب..افتراءات لها تاريخ»، (ص: ٣٣).

(٦) ينظر: «الفاتيكان والإسلام» أ.د: محمد عمارة، (ص: ١٥٢)، ط: مكتبة وهبة- القاهرة ٢٠١١م.

ويكتب الروائي الفرنسي «ميشيل ويلبيك»[١] فيقول: «إن قراءة القرآن مثيرة للتقزز، وإن الإسلام دين عدواني، غير متسامح، يجعل الناس أشقياء تعساء»[٢].

فنحن إذن بإزاء عداء لقدس أقداس الإسلام – القرآن الكريم ورسول الإسلام صلى الله عليه وسلم– وهو عداء له تاريخ قديم وثابت وطويل[٣].

إلى هذا الحد من التجاوز والسخرية والتهكم والاستعلاء على كلام رب العزة سبحانه الذي جعل العرب الذين هم أهل بلاغة وفصاحة وبيان يدينون للقرآن –وإن لم يُسلموا–، لبلاغة منطقه، وعذوبة ألفاظه، ونظمه المعجز، حتي الجن عندما سمعوه لم يقدروا إلا أن يصفوه بالعجب؛ فقالوا عندما انصرفوا إلى قومهم: {إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ}[٤].

(١) ميشيل ويلبيك: كاتب فرنسي ومخرج سينمائي، ولد سنة (١٩٥٨م) يعتبر ويلبيك من أبرز المفكرين الفرنسيين المعاصرين، وقد ألف العديد من الكتب التي تناولت قضايا العولمة والهوية السياسية، وكانت له تصريحات تحريضية تدعو إلى قتل المسلمين في المساجد في فرنسا، من أبرز مؤلفاته: الخريطة والأرض، استسلام، الهجرة والثقافة، توفي سنة (٢٠٢٠م). يراجع: موقع https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D9%8 .

(٢) ينظر: «موسوعة الإسلام وقضايا العصر»، (٢٢٨/١).

(٣) ينظر: «الإسلام والغرب..افتراءات لها تاريخ»، (ص: ٣٣).

(٤) [الجن:١، ٢].

المطلب الثالث: الصورة النمطية عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم في المتخيل الغربي

من يتصفح الجرائد الأوربية أو المناهج الدراسية يجد صورة نمطية في مخيلة هؤلاء عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم وذلك من خلال الإساءات المتكررة التي لا تأتي إلا من جاهل أو حاقد لم يعط لنفسه فرصة للتعرف على شخصية النبي صلى الله عليه وسلم من خلال المصادر الموثوقة، وإليك بعض ادعاءاتهم على صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم.

لقد كتب فيلسوف التنوير الغربي (فولتير)- الذي قدمه الغرب، وقدمه المثقفون العلمانيون في بلادنا بوصفه نموذج الشجاعة الفكرية، المستعد للموت في سبيل حرية الآخرين- كتاب (محمد أو التعصب) وقد حوّل هذا الكتاب إلى مسرحية تم عرضها في الكوميديا الفرنسية؛ حيث نالت نجاحًا كبيرًا، وقد تجلى كرهه للإسلام في قدحه لشخص النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقد اعتبره «متمردًا و «خائنًا» و «مجرمًا» و «دجالًا»، ولم يكّون أمة إلا من أجل الصلاة والتكاثر والقتال[1].

وكذلك قال في شخص النبي محمد صلى الله عليه وسلم بأنه نموذج التعصب الديني والطغيان الثيوقراطي، الذي يستغل مشاعر البسطاء من الناس ومعتقداتهم الساذجة لأجل بلوغ غايته الشريرة، وقد كتب فولتير إلى بعض أصدقائه قائلًا: «إنني أصور محمدًا متعصبًا عنيفًا، ومحتالًا وعارًا على الجنس البشري الذي بعد أن كان تاجرًا أصبح نبيًّا مشرعًا وملكًا.... «محمد» يجسد خطر التعصب»[2].

(١) ينظر: «الإسلام والغرب..افتراءات لها تاريخ»، (ص: ٢٦).

(٢) ينظر: «الإسلام والمسيحية» تأليف: أليكسي جوارفسكي، (ص: ١٠٠)، ترجمة د: خلف محمد الجراد، تقديم أ.د: محمود حمدي زقزوق، الناشر: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت (سلسلة عالم المعرفة)، جمادى الآخرة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

ولا يختلف الأمر كثيرًا عند (مونتسكيو) (Montesquieu) إذ إنه وصف ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم بلهجة كلها سخرية وازدراء[١].

ومن الأساطير التي نشرت عن النبي صلى الله عليه وسلم في القرون الوسطى تلك القائلة: «إنه ساحر كبير استطاع عن طريق السحر والخداع تحطيم الكنيسة في إفريقيا وفي الشرق، وأنه سمح بالدعارة والفسق لكسب مزيد من الأتباع» [٢].

أما رأس البروتستانتية (مارتن لوثر)؛ فلقد قال عن رسول الإسلام – الذي جعل الحياء شعبة من شعب الإيمان، والعفة ثابتًا من ثوابت القيم الإسلامية–: «إن محمدًا هو خادم العاهرات، وصائد المومسات»[٣].

«ولقد اعتبر المسيحيون من سمّاه المسلمون نبيًّا، وخاتمًا لسلسلة الأنبياء التي بدأت بآدم عليه السلام، رجلًا عاش حياة داعرة وتجاوز خبثه كل حدود الدناءة والانحطاط، ولم يتورع خيال مسيحيي أوروبا المتعطشين للظفر والتوسع، الذي نتج عنه أساطير وهمية عدائية عن خلق الأكاذيب وترويجها، بل إن الأوروبيين ادعوا أن رسول الإسلام كان في الأصل كاردينالًا كاثوليكيًّا تجاهلته الكنيسة في انتخابات البابا، فقام بتأسيس طائفة ملحدة في الشرق انتقامًا من الكنيسة، واعتبرت أوروبا المسيحية في القرون الوسطى محمدًا صلى الله عليه وسلم المرتد الأكبر عن المسيحية الذي يتحمل وزر انقسام نصف البشرية عن الديانة المسيحية»[٤].

---

(١) ينظر: «دور الإعلام في معالجة ظاهرة الخوف من الإسلام (الإسلاموفوبيا)»، (ص: ٢٧).

(٢) ينظر: سلسلة عالم المعرفة: «الإسلام والمسيحية»، (ص: ٧٤).

(٣) ينظر: «الإسلام والغرب..افتراءات لها تاريخ»، (ص: ٢٩).

(٤) ينظر: «صورة الإسلام في التراث الغربي»، (ص: ٢٤).

ولا يخفى على كل ذي بصر وبصيرة الرسوم المسيئة المتكررة بين الحين والآخر على مرأى ومسمع من العالم كله، ولم يتحرك الضمير الإنساني تجاه هذه الإساءات والتجاوزات، ولم يحرك ساكنًا، وعلى الجانب الآخر لو كانت الإساءة من المسلمين تجاه رمز ديني من رموز الآخر أيًّا كان هو، لقامت الدنيا ولم تقعد ولوُصِمنا بأبشع الصفات وأقبحها، ولكانت هناك إجراءات فعلية على الأرض حيال هذه الإساءة.

المطلب الرابع: الصورة النمطية للإسلام والعرب في الموسوعات والكتب المدرسية

بالرغم أنه من المفترض أن يكون العلماء وأساتذة الجامعات والباحثون الأكاديميون، متحلّين بالروح العلمية وبالحد الأدني من الأمانة والموضوعية، وأن تكون دراساتهم العلمية مصادر ومراجع تتصف بالمصداقية، فإن كثيرًا من هؤلاء العلماء والباحثين في الغرب يفتقدون هذه الصفات التي يتشدقون بها ويطالبون الآخرين بها، عندما يتحدثون عن الإسلام والعرب، وهذا هو الدليل.

أولًا: في الموسوعات

راجع عفيف البوني مراجعة علمية رصينة عددًا من الموسوعات الغربية الشاملة للوقوف على صورة العرب في هذه الموسوعات، وقد شملت المراجعة الموسوعة البريطانية، والموسوعة اليهودية، والموسوعة السوفييتية الكبرى، والموسوعة الفرنسية، وقد وجد أن هذه الموسوعات غفلت أو تغافلت عن عمد عن تتبع الجانب التاريخي المشكِل للوجود والهوية العربية الإسلامية، خاصة في مختلف الأقطار العربية، خارج الجزيرة العربية منذ ظهور الإسلام، وقد أكد أن تجاهل هذه الموسوعات للكثير من المسائل التي تهم العرب، بمقدار ما تُسيء إليهم من خلال إنكار ما هو إيجابي في نهوضهم المعاصر، وهذا بدوره يضر بالباحث الغربي الذي يُمنع من العثور على مصدر علمي يعرِّفه بحقيقة الأمة العربية، ويصف البوني الموسوعة البريطانية بأنها: «لا تسعف القارئ أو الباحث بشيء مهم يمكن أن يساعده على تكوين صورة معينة عن عرب الأمس واليوم لا في التاريخ ولا فوق الأرض»[(١)].

(١) ينظر: «صورة العرب في العقل الغربي من خلال الموسوعات العلمية الغربية» تأليف د: عفيف البوني، (ص: ١٨) وما بعدها، مجلة المستقبل العربي، المجلد العاشر العدد، (١٠١) يوليو – تموز ١٩٨٧م، الناشر: مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان.

أما الموسوعة اليهودية –على حد وصف البوني– «فلا تكاد تجد اسم العرب فيها، لا تحتوي على مادة باسم (العرب)، والذي يثير الدهشة حقًا أن الموسوعة وهي تتحدث عن الجزيرة العربية، وهو موضوع عربي بالأساس، تهمل الحديث عن تاريخ الجزيرة العربية نفسها؛ يجد القارئ نفسه لا يعرف هل يقرأ عن تاريخ الجزيرة العربية، أم عن تاريخ اليهود فيها؛ فمثل هذا القارئ لا يظفر بعرض علمي أو تتبع تاريخي منهجي، وإنما يقرأ تداخلًا بين اليهود العرب، وبين التاريخ والأديان والحضارة والمناخ والصحراء والتجارة، وبين المراحل الزمنية المختلفة، حتى يحصل له انطباع بأن المنطقة المسماة (Arabia) و(الحجاز)» –حسب تعبير الموسوعة– «هي أرض سكنها اليهود والعرب على حد سواء، وحين تترجم هذه الموسوعة إلى اللغة العربية، ينتهي القارئ من ذلك بحصول انطباع آخر، وهو أن هناك لغة، لكن الخريطة الجغرافية للناطقين بها تنقسم إلى سبعة أقاليم بحسب اللهجات العربية، كما لا يوجد في الموسوعة ما يدل على أنّ للعرب أدبًا أو آدابًا، أو ثقافة عربية أو فلسفة عربية إسلامية، أو تراثًا غزيرًا متنوعًا مكتوبًا بلغة الضاد، وكأن العرب ليس لهم من هذا شيء يذكر» [1].

ويذكر زياد أبو غنيمة تشويهات دائرة المعارف البريطانية للإسلام والعرب، فيقول: «إن الموسوعة تذكر أن محمدًا صلى الله عليه وسلم زعم أنه نبي مرسل من الله وأنه أعظم الأنبياء وخاتمهم، وأن المسلمين يعبدون محمدًا، ويعتقدون أن الكون خلق من نور محمد»، وتذكر كذلك حينما تتحدث عن إسراء النبي صلى الله عليه وسلم ومعراجه؛ حيث تُصر الموسوعة البريطانية أنه صعد إلى السماء من فوق صخرة في (معبد سليمان) في أورشليم (بيت المقدس) مع أن الحقيقة التاريخية تؤكد أنه

(١) ينظر: «صورة العرب في العقل الغربي من خلال الموسوعات العلمية الغربية»، (ص: ٢١) وما بعدها.

لم يكن لمعبد سليمان في ذلك الوقت أي أثر، وشبّهت الموسوعة البريطانية الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بزرادشت» [١].

وعندما تحدثت عن الرسول صلى الله عليه وسلم زعم أنه كان يعيش طبقًا للمعتقدات الدينية التقليدية، وفي هذا الزعم الباطل إيحاء بأنه صلى الله عليه وسلم كان يشارك المشركين في عبادة الأوثان والأصنام[٢].

ومن أبرز ما جاء في هذه الموسوعة كذلك حين تحدثت عن القرآن الكريم؛ زعمت أنه يتألف من كلمات محمد الموثوق بها. وفي هذه المغالطة الخبيثة إيحاء بأن القرآن الكريم ليس منزلًا من عند الله[٣].

فطن اليهود مبكرين إلى أهمية الموسوعات العلمية والثقافية، بوصفها مرجعًا موثوقًا تُستقى منه المعلومات؛ فغزوها من خلال العشرات من اليهود ومناصريهم، لدرجة يندر معها أن تجد موسوعة علمية لا تفوح منها روائح الصهيونية.

يقول الدكتور كامل العسلي في مقابلة أجرتها معه صحيفة الدستور الأردنية في ١٥/٥/ ١٩٨٢م، ما يلي:

«إن قراءة سريعة للموسوعات البريطانية انسكلوبيديا (Encyclopædia) ، بريتانيكا (*Britannica*) والموسوعة الأمريكية (ماير) (mayer)، والموسوعة الألمانية، والموسوعة الفرنسية (لاروس Larousse) تؤكد أن هذه الموسوعات تتبنى بجلاء وجهة النظر الصهيونية وتدافع عنها، وتُصر جميعها على إطلاق اسم (أرض إسرائيل) على فلسطين، وتزعم أنه لم يكن هنالك في التاريخ ولا في القانون الدولي بلد

(١) ينظر: «السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية» زياد أبو غنيمة، (ص: ١١٦)، ط: دار عمار، الأردن- عمان، ط: الأولى ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

(٢) ينظر: «السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية»، (ص: ١١٦).

(٣) ينظر: «المرجع السابق»، (ص: ١١٥).

يدعى فلسطين، وهذه الموسوعات تبدأ تاريخ القدس بمملكة داوود وسليمان، متجاهلة أن القدس الكتعانية قامت قبل داوود وسليمان بألفي سنة عل الأقل»[1].

ثانيًا: في الكتب المدرسية

على الرغم من الدراسات الاستشراقية التي قام بها مجموعة من المفكرين الأوروبيين، فإنها في مجملها لا تخلو من التحيز الفكري ذي البعد التهميشي الاحتقاري ليس فقط للدين الإسلامي، بل وصف كل ما يتعلق بالشرق أو مصدره شرقي بأنه متخلف، وغير مناسب، وبذلك تكونت النزعة المركزية الغربية التي تجعل من أوروبا أو الغرب بصفة عامة مصدر كل حقيقة وتطور.

ولعل المفكر الفلسطيني إدوارد سعيد كان من أفضل الذين شخصوا هذه الصورة في كتابه المهم «الاستشراق» وهو يُعري بحرفية شديدة وبموضوعية أساليب الاستعمار في رسم الصورة المشوهة للعربي والمسلم بشكل نمطي مبرمج في الكتب المدرسية وأفلام السينما وكل وسائل الإسلام؛ حيث قال ما نصه:

«من المحال تفَهُّم الأفكار والثقافات والتاريخ، أو دراساتها دراسة جادة، دون دراسة القوة المحركة لها، أو بتعبير أدق، دون دراسة تضاريس القوة أو السلطة فيها، فمن المخادعة الاعتقاد بأن الخيال وحده قد فرض خلق صورة الشرق؛ أي جعله يتخذ الصورة التي رسمها المستشرقون، أو الاعتقاد بإمكان حدوث ذلك على الإطلاق؛ فالعلاقة بين الغرب والشرق علاقة قوة وسيطرة، ودرجات متفاوتة من الهيمنة المركّبة»[2].

---

(١) ينظر: «السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية»، (ص: ١١٥).

(٢) «الاستشراق» إدوراد سعيد، (ص: ٤٩)، ترجمة د: محمد عناني، الناشر: رؤية للنشر والتوزيع، ط: الأولى ٢٠٠٦م.

وكذلك يقول: «إنه من الخطإ افتراض أن هيكل الاستشراق لا يزيد على كونه هيكلًا من الأكاذيب أو الأساطير... بل أعتقد أن القيمة الكبرى للاستشراق تكمن في كونه دليلًا على السيطرة الأوروبية الأمريكية على الشرق»[١]، وكذلك عبّر بأن ما أكسب الاستشراق القدرة على الصمود والاستمرار هو دعم كافة المؤسسات له، فقال: «علينا أن ندرك ما يتسم به خطاب الاستشراق من قوة متماسكة متلاحمة الوشائج، والروابط الوثيقة إلى أبعد حد بينه وبين المؤسسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تمنحه القوة، والقدرة الفائقة على الاستمرار»[٢].

وهنا أود أن أشير إلى كتاب آخر مهم أصدرته الباحثة "مادلين نصر" –وهي من أصل لبناني– بعنوان: «صورة العربي في الكتاب المدرسي الفرنسي»، وهي صورة بالغة القبح والكراهية، وتعكس النفسية الحاقدة المتجنية لمؤلفي الكتب المدرسية[٣].

وسواء أكانت وراء تلك الحملات والكتابات مؤسسات سياسية أو لاهوتية، فإن الأمر لا يختلف في نهاية المطاف، بل إن هذه المؤسسات كثيرًا ما تعمل وفق نسق مدروس توزع فيه الأدوار بدقة ومهارة.

«وفي عام (١٩٧٨م)، عقد في ولاية كلورادو الأمريكية مؤتمر تبشيري تقبع خلفه الفئات المتصهينة من الكنيسة، ووصف هذا المؤتمر بلدان العالم الإسلامي بأنها معاقل الشيطان الحصينة» [٤].

---

(١) «المرجع السابق»، (ص: ٥٠).

(٢) ينظر: «الاستشراق» إدوراد سعيد، (ص: ٥٠).

(٣) يراجع كتاب: «صورة العرب والإسلام في الكتب المدرسية الفرنسية» لمؤلفته د: مادلين نصر، الناشر: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط: الأولى يناير ١٩٩٥م.

(٤) ينظر: «دور الإعلام في معالجة ظاهرة الخوف من الإسلام (الإسلاموفوبيا)» مجموعة من المؤلفين، (ص: ١٦٣).

وإذا عدنا قرابة قرن إلى الماضي واستمعنا إلى آراء مستشرقين من أمثال رينان[١]، وجوزيف شاخت[٢]، وغولد تسهير[٣]، رأينا الوجه القبيح يطل في مزاعمهم بأن الحضارة العربية ليست إلا نتاج عقل إسلامي منغلق يعادي الابتكار، ولم يقدم أي أثر علمي ملموس، وأن المسلمين لم يكونوا سوى نقلة للفكر الإغريقي.

(١) أرنست رينان: ولد سنة (١٨٢٣م) تلقي تعليمه في المدارس اللاهوتية، وتعلم العربية في مدرسة اللغات الشرقية بباريس، زار المشرق وعاش بلبنان فاترة من الزمان، واهتم بالعقيدة الإسلامية، وقد اشتهر بتعصبه الذميم ضد العرب والمسلمين، من أبز مؤلفاته: تاريخ اللغات السامية في جزئين وقد اشتمل هذه الكتاب على مطاعن كثيرة ضد العرب والمسلمين، كتاب ابن رشد، تاريخ فينيقية، توفي سنة (١٨٩٢م). يراجع: «في الأدب الحديث» تأليف: عمر الدسوقي، (ص: ٣٨٩)، الناشر: دار الفكر العربي، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(٢) جوزيف شاخت: مستشرق ألماني ولد (١٩٠٢م)، تخرج في جامعتي برسلاوا وليبزيج، عين أستاذا في جامعة فرابورج (١٩٢٧ م)، وفي الجامعة المصرية (١٩٣٤م)، كما درس في الجزائر، تعين في وزارة الاستعلامات البريطانية (١٩٣٩ – ١٩٤٥)، وتجنس بالبريطانية ودرس في قسم الدراسات الإسلامية بأكسفورد (١٩٤٨م)، من آثاره: المخارج في الحيل للشيباني، وحقق كتاب التوحيد للماتريدي، وله كتاب في نشأة الفقه في الإسلام، يراجع: «المستشرقون» نجيب العقيقي، (٢/ ٨٠٣).

(٣) جولد تسيهر: يهودي مجري ولد سنة (١٨٥٠م)، في بلاد المجر ويعتبر من أبرز محرري دائرة المعارف الإسلامية، تبحر في اللغة العربية، والشيعة الإسلامية، وعرف بنقده للإسلام، ولقد اشتهر بغزارة انتاجه، من أشهر آثاره العلمية: العقيدة والشريعة في الإسلام، وقد ترجم إلى العربية، مذاهب التفسير الإسلامي، دراسات إسلامية، الإسلام والدين الفارسي، يراجع: «المستشرقون» نجيب العقيقي، (٢/ ٩٠٦).

بل إن (رينان) الفرنسي يلغي كل الشعوب الأخرى ويقول: «إن العقل الأوروبي هو الوحيد المنفتح المبدع، وكل ما سواه عاجز بليد غير منتج»[١].

فنجد أن النظرة الغربية متمركزة حول ذاتها، وتنطلق من أنّ الغرب هو القطب والمركز الأساس والمقياس، أما بقية العالم الثالث (وخصوصًا الوطن العربي) «فهو هامش محيطي تابع بالخضوع أو بالإخضاع، وأما حق الآخر في التغاير، وهو مبدأ يؤكده الفكر الغربي، فإن هذا الحق أو هذا المبدأ لا يحترمه الغرب إلا إذا كان يصب في مصلحته؛ على سبيل المثال، يعتبر الغرب المجاهدين الأفغان أبطالًا من أجل الحرية، بينما يعتبر الفدائيين الفلسطينيين إرهابيين» [٢].

وهذا مثال بسيط جدًا وواضح على معايير الغرب في التعامل مع الآخر من خلال المصالح الغربية.

(١) ينظر: «دور الإعلام في معالجة ظاهرة الخوف من الإسلام (الإسلاموفوبيا)» ، (ص: ١٦٣).

(٢) ينظر: «صورة العرب في العقل الغربي من خلال الموسوعات العلمية الغربية»، (ص: ٣١).

المطلب الخامس: تجليات خطاب الكراهية الخاص بالعرب في الإعلام الغربي

إن الإساءة للإسلام وترسيخ الصورة النمطية الكريهة عنه وعن أتباعه ليسا جديدين في المجتمع الغربي. إن صنع الصورة النمطية المسيئة للإسلام والعرب وترسيخها في العقل الشعبي في المجتمعات الغربية ظاهرة قديمة ومتجددة، وهي ظاهرة ذات جذور تاريخية وفكرية تمتد لقرون عديدة، ولنقرأ شهادة أحد المتخصصين الذين درسوا هذه الظاهرة في صورتها المعاصرة في الإعلام الأمريكي «جاك شاهين»؛ حيث يقول:

«إنه انصرف منذ عشرين سنة إلى تاريخ الصورة السائدة في الثقافة الشعبية الأمريكية، فدرس ما يزيد على (٢٥٠) كتابًا ظهر خلال (٥٠) عامًا، بدءًا من «دونالد باك» وحتى «سوبر مان»، كما حلّل مئات البرامج والرسوم الكاريكاتيرية التي عُرضت على شاشة التليفزيون مثل «بوباي» و«ميجور داد» وأفلام رسوم متحركة يفوق عددها (٤٥٠) فيلمًا أولها «رقصة فاطمة»[١] (١٨٩٦م) وآخرها «علاء الدين» الذي قدمته مؤسسة «والت ديزني» سنة (١٩٩٢م)»[٢].

ويضيف شاهين «أن هوليود مدينة السينما الأمريكية قدمت منذ حرب الخليج ما يزيد على (٤٠) فيلمًا، غالت معظم هذه الأفلام في تشويه سمعة العرب؛ إذ عرضت شريطًا لا ينتهي من الصور التي يبدو فيها العرب أشبه بشعوب منقرضة لشدة تخلفهم، ويمثلون في الوقت ذاته خطرًا رهيبًا

(١) ينظر: «صورة الإسلام في الإعلام الغربي» د: عبد القادر طاش، (ص: ٧، ٨)، الناشر: الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط: الثانية ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

(٢) أُنتج هذا الفيلم سنة ١٨٩٦م، وقد أثار هذا الفيلم جدلًا واسعًا حين عرضه، وتظهر البطلة فاطمة في بداية الفيلم وهي ترقص رقصة مبتذلة، والغريب في الأمر أن الخلفية التي تظهر من وراء خشبة المسرح خلفية رعوية، وهي تحمل في طياتها أن هذا في بلاد الإسلام.

يهدد الآخرين، ولم تروّج مشاهدها الوهاجة المتكررة على الجمهور ببراءة، بل وجّهته إلى كراهية هذا ومحبة ذاك ضاربة بمبدإ المساواة عرض الحائط»[١].

وعلى سبيل المثال: «عندما أرادت شركة إديسون المتحدة بنيويورك (شركة كون إيد) أن تقنع الأمريكيين بضرورة توفير مصادر بديلة للطاقة، أذاعت إعلانًا تليفزيونيًّا مثيرًا في صيف (١٩٨٠م)، يتضمن لقطات متحركة قديمة لبعض الشخصيات المعروفة بي منظمة البلدان المصدرة للنفط (أوبك)- مثل الدكتور أحمد زكي يماني، والعقيد معمر القذافي، وبعض الشخصيات العربية التي تلبس الزي العربي-وإن كانت أقل شُهرة- ويمزج بينهما بالتناوب وبين بعض اللقطات الثابتة الأخرى، إلى جانب لقطات لشخصيات أخرى ارتبطت أسماؤها بالنفط والإسلام مثل الخوميني، وياسر عرفات، وحافظ الأسد، ولم يُشر الإعلان إلى أي من هذه الشخصيات بأسمائها، ولكن المذيع قال بصوت المنذر المحذّر إن هؤلاء الرجال يتحكمون في مصادر النفط الأمريكية، وكان صوت المذيع القادم من الخلفية ذا نبرة وقورة، ولم يفصح عن أسماء هؤلاء الرجال ولا عن البلدان التي ينتمون إليها، بل ترك المشاهدين يشعرون بأن هذه الكوكبة من الأشرار قد أوقعوا الأمريكيين في قبضة من يتلذذ بتعذيبهم دونما ضابط أو رابط، وكان يكفي أن يظهر هؤلاء الرجال على النحو الذي ظهروا به في الصحف والتليفزيون حتى يعتري الأمريكيين مزيج من مشاعر الغضب والاستياء والخوف، وكانت هذه المشاعر هي التي عمدت شكرة كويد إيد إلى إثارتها واستغلالها»[٢].

«إن الصورة النمطية المسيئة للإسلام والعرب التي يروّج لها الإعلام الغربي اليوم ليست إلا امتدادًا لتلك الصورة التي صنعها اللاهوتيون

(١) ينظر: «صورة الإسلام في الإعلام الغربي» د: عبد القادر طاش، (ص: ٨).

(٢) ينظر: «تغطية الإسلام» إدوارد سعيد، (ص: ٦٩).

المسيحيون المعتصبون في العصور الوسطى، ورسخها في الوجدان الغربي غلاة الصليبيين الطامعين في أرض العرب، وهي ذاتها الصورة التي سخّر المستشرقون والمنصّرون أبحاثهم ودراساتهم وجهودهم العملية لتثبيتها في العقل الاستعماري للغرب، واليوم تكمل بيوت الخبرة في الجامعات ومراكز البحوث والدراسات الشرقية والإسلامية في الغرب ووسائل الإعلام الجماهيرية مهمة السابقين في الإبقاء على الصورة كما كانت، بل إن وسائل الإعلام الجماهيرية تعمل الآن –بسبب ما تمتلكه من قدرات تقنية وأساليب جذب مبهرة– على الترويج لهذه الصورة المسيئة للإسلام والعرب على المستوى الدولي حتى أضحت هذه الصورة مادة إعلامية جماهيرية تعبر الحدود بلا تعب وتدخل إلى البيوت بلا استئذان في كل مكان بالعالم» [1].

وفي ضوء ما سبق، تشكل لدى العقل الأوروبي الجمعي صورة سلبية مشوهة عن الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم، والشخصية الإسلامية جرّاء هذا السيل من الأكاذيب والتزييف؛ فللاستعمار الحديث براعة مُنكَرة في التزوير والتزييف، وإخفاء الحقائق ولي زمام الأمور لتنسكب في مصلحته، وذلك من خلال الكذب والتدليس والخداع المستمر والمتعمد سواء في مجال الكتابة أو الإعلام، إلى غير ذلك، حتى أصبحت صورة الإسلام والمسلمين على هذه الحالة التي نشاهدها في الإعلام الغربي المسموع والمقروء والمرئي حتى وقتنا الحاضر.

(١) ينظر: «المرجع السابق»، (ص: ٨).

المبحث الرابع: أسباب تنامي ظاهرة الإسلاموفوبيا

يوهم الغرب العالم بأن طبيعة الدين الإسلامي هي السبب الرئيس في تنامي ظاهرة الخوف منه، على اعتبار أنه دين يقوم على مبادئ تدعو إلى العنف والقتل والتشريد والإرهاب، ويستشهدون بنصوص عدة من القرآن والسنة النبوية يفهمونها على غير وجهها؛ ولذلك كان لزامًا على الباحث إظهار الأسباب الحقيقية لهذه الظاهرة، من هذه الأسباب:

١- النجاح الذي حققه الإسلام خارج أرضه

إذا أردنا أن نبحث في الأسباب الحقيقية التي أدت إلى شيوع هذه الظاهرة، نستطيع أن نجعل السبب الأول والرئيس هو «النجاح الذي حققه الإسلام على مر التاريخ، والمتمثل بفرض سلطانه على الأمم والممالك والإمبراطوريات؛ مما شكّل خوفًا وقلقًا بالغين من تكرار هذا النجاح في أي فترة من الفترات، فهذا النجاح أدى بشكل واضح إلى وجود عدم ارتياح بسبب الإرث الحضاري للإسلام، وأكبر شاهد على ذلك الفتوحات الإسلامية التي بدأت من عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ومن هذه الفتوحات معركة اليرموك التي نتجت عنها هزيمة الروم وإخراجهم من جزيرة العرب حتى قال هرقل وهو ينظر إلى الأراضي السورية ويودعها: (عليك يا سورية السلام ونعم البلد هَذَا للعدو -يعني أرض الشام لكثرة مراعيها- ولا يدخلك بعد اليوم رومي إلا خائفًا)»[(١)]، «ومن الفتوحات الإسلامية أيضًا فتح الأندلس عام (٩١هـ)؛ فبعد سقوط الإمبراطورية الرومانية كان نور الإسلام قد امتد إلى حدود الصين والهند، وإلى أقصى الأندلس، وإلى قلب إفريقية، ويوضح الدكتور محمود محمد شاكر -رحمه الله- هذا السبب، ويذكر أن النصرانية

(١) ينظر: «فتوح البلدان» أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري، (ص: ١٣٩)، الناشر: دار ومكتبة الهلال- بيروت: ١٩٨٨م.

قد انحصرت في الرقعه الشمالية التي عرفت اليوم باسم أوروبا، واستمر الصراع بين الإسلام والنصرانية لخمسة قرون، فانطلقوا يُعِدون العدة ضد الإسلام في شمال أوروبا، وكان جزءًا من إعدادهم تصوير الإسلام بصورة بشعة، وأن أهل الإسلام وثنيون، ناهيك عن الكذب على الإسلام والمسلمين؛ فرسخوا في أذهان الناس صورة مشوهة عن الإسلام، وبدأت الحروب الصليبية واستمرت قرنين من الزمن فباءت بالإخفاق والفشل، وفي عام (٨٧٥هـ) فُتحت القسطنطينية –وهي آنذاك عاصمة المسيحية– على يد الدولة العثمانية، وكان ردة الفعل أن أوروبا اهتزت وأصابها الخوف والذعر من هذا الوافد الجديد» [١].

ويحقق الإسلام النصر تلو النصر عبر التاريخ، ويبقي نور الإسلام ساطعًا وضاءً، قال تعالى: {يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ}[٢]، فهذه الفتوحات جعلت الغرب في حالة عدائية وكره شديد للإسلام وأهله، وكان هذا سببًا رئيسًا للحقد على الإسلام والكيد له والخوف منه.

٢– النزعة الاستعلائية للغرب ضد الإسلام

ومما يبرز هذه النزعة العنصرية المعادية للآخر، «تأكيد الدوائر الحكومية والإعلامية والسياسية في مختلف نقاشاتها وقضاياها أن الإسلام هو "العدو البديل" الذي يهدد النظام العالمي الجديد؛ "إذ لا يمكن وصف أي دين، أو تجمعات ثقافية شكلت مثل هذا الخطر والتهديد مثلما أكده الحديث عن الإسلام، وليس من قبيل المصادفة عزو أسباب تفاقم أزمات

(١) ينظر: «رسالة في الطريق إلى ثقافتنا» محمود محمد شاكر، (ص: ٣٥)، ط: الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٧م.

(٢) [التوبة: ٣٢].

العالم الإسلامي الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية إلا لبذل الغرب مزيدًا من العلم لدحر هذا الخطر القادم من الشرق(١)، ثم إن طبيعة العلاقات الدولية –خصوصًا السياسية منها– في نظر الغرب يجب أن تحتكم إلى من يمتلك القوة، ونؤكد هنا القوتين "العسكرية والثقافية"، وفي ذلك تكريس للهيمنة الاستعمارية الغربية والإمبريالية الأمريكية"، وهذا الحديث عن الحوار لإدارة تلك العلاقة مع الآخر، تقتضي سيرورتها أن تتدفق من جانب واحد، يعتقد بتفوق ثقافته المعززة لرؤيته السوداوية للآخر: "وإن مثل قوة الولايات المتحدة الأمريكية تجد نفسها في وضع قائم على قيادة العالم حسب هواها، ودون أن تترك للانتقاديين الآخرين أدنى إمكانية للطعن، وتردف (مادلين أولبرت Madlain Oulbirte)، قائلة: "إنها القوة التي لا غنى عنها، لأننا قادرون بفضل قامتنا أن نرى أبعد من الأخرين"» (٢).

فالغرب يتعامل مع المسلمين بنوع من العنصرية وهو يعتقد أنه لا بد من الكراهية للأجناس الأدنى، وتكوين فلسفة استعمارية تبرز سيطرة الإنسان الأبيض على بقية الشعوب، واعتباره سيدًا للعالم وحامًلا لمشاعل الحضارة إلى الشعوب المختلفة (٣).

(١) ينظر: «تغطية الإسلام» إدوارد سعيد، (ص: ٢٥)، ترجمة، د: محمد عناني، ط: دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط: الأولى: ٢٠٠٥م.

(٢) ينظر: «عولمة العولمة من أجل التنوع حضاري» المهدي المنجرة، (ص: ١١، ١٢)، ط: مشورات الزمن، المغرب، ط: الثانية: ٢٠٠٥م.

(٣) ينظر: «التحديات والمواجهات في عداء الغرب للإسلام» جعفر عبد السلام، (ص: ١٠١)، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث المجلد الخامس، العدد السابع عشر، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م. بتصرف.

٣- الجهل بالإسلام

«الواقع أن هناك جهلًا صارخًا بحقيقة الإسلام، وبخاصة في العالم الغربي الذي يستقي معلوماته عن الإسلام من مصادر قد تفتقر في كثير من الحالات إلى الموضوعية والتجرد والنزاهة، أو الإحاطة الكاملة بحقيقة الإسلام؛ فالمناهج المدرسية وحتى الجامعية في العالم الغربي لا تزال مثقلة بكم هائل من المعلومات المغلوطة والمضللة عن الإسلام التي تعود في جذورها إلى نتاجات المدرسة الاستشراقية، إحدى الأزرع التقليدية الرئيسة للاستعمار الغربي التي كانت تعمل بروح الحرب الصليبية لا ينقصها الكثير من التعصب والتحيز وتزييف الوقائع ولي أعناق الحقائق لإثبات مزاعم وافتراضات عارية عن الصحة[١]، يقول «مكسيم رودنسون»: «ولم ير المستشرقون في الشرق إلا ما كانوا يريدون رؤيته، فاهتموا كثيرًا بالأشياء الصغيرة والغريبة، ولم يكونوا يريدون أن يتطور الشرق ليبلغ المرحلة التي بلغتها أوروبا؛ ومن ثم كانوا يكرهون النهضة فيه»، وكذلك قال:«وحين كان الغربيون يذهبون إلى الشرق كانت تلك الصورة التي يبحثون عنها، فينتقون ما يرونه بعناية، ويتجاهلون كل ما لا ينسجم مع الصورة التي كونوها سابقًا»[٢].

«ولقد نشر المستشرقون معلومات وأفكار مضللة عن الإسلام وقيمه؛ ولذلك فغالب الغربيين يعتبرون العرب والمسلمين وحوشًا ضارية وحيوانات مفترسة، ولقد نعتوا المسلمين بأوصاف لا تليق بهم، وأن الواجب إبادة

(١) ينظر: «الإسلاموفوبيا» الشيخ كاظم الصالحي، (ص: ٥٩).

(٢) ينظر: «مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين» على بن إبراهيم النملة، (ص: ١٤)، ط: مطبوعات الملك فهد الوطنية، الرياض المملكة العربية السعودية، ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.

خمسهم والحكم على الباقين بالأشغال الشاقة وتدمير الكعبة ووضع ضريح محمد صلى الله عليه وسلم في متحف اللوفر» [١].

«ولقد اعتبر بعض المستشرقين أن الديانة المحمدية جذام نشأ بين الناس وأخذ يفتك بهم فتكًا ذريعًا، بل هو مرض مريع وشلل عام وجنون ذهولي يبعث الإنسان على الخمول والكسل ولا يوقظه منهما إلا ليسفك الدماء ويدمن شرب الخمور ويجمح في القبائح» [٢].

ولذا يمكنني القول: يشكل الجهل بالإسلام وحمل تصورات مغلوطة عنه عائقًا بارزًا من أهم العوائق الفكرية التي تحول دون إيجاد أرضية مشتركة للتوافق والتواصل الإيجابي الفعّال بين الأطراف المتنازعة.

٤- تضارب المصالح واختلاف المنطلقات القيمية

على الرغم من أن الجهل بالإسلام قد يشكل سببًا أساسيًّا للخوف منه ومعاداته، فإنه ليس السبب الوحيد بكل تأكيد، فقد سجل التاريخ أن معرفة الكثيرين بالإسلام لم تَحُل دون الخوف منه ومناهضته، بل ربما يمكن القول إن تلك المعرفة قد كانت المدخل الرئيس لاتخاذ موقف سلبي منه، «فقد جاء الإسلام ليشكل مشروع رؤية تُجدد ما دأبت تعاليم السماء على الدعوة إليه والمناداة به، رؤية تقوم على تدمير معاقل التظالم بين الناس، ونشر قيم العدالة والأخوة والمساواة والفضيلة فيما بينهم، وبطبيعة الحال، كان من المحتم أن يصطدم ذلك المشروع بمصالح كثير من الفئات الانتهازية التي كانت تحرص على استمرار الأوضاع المختلفة القائمة، بكل ما فيها من استغلال وظلم واعوجاج؛ فاليهود في الجزيرة العربية على سبيل المثال كانوا متأكدين من صدق النبي صلى الله عليه وسلم ورسالته، حسب ما جاء في

(١) ينظر: «الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية» الشيخ محمد عبده، (ص: ٢٣)، ط: مؤسسة هنداوي ٢٠١٠م بتصرف.

(٢) ينظر: «الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية» الشيخ محمد عبده، (ص: ٢٣).

أسفارهم المقدسة من نبوءات، قال تعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}(١)، إلا أنهم أصروا على معاداة الإسلام والكيد له، استنادًا إلى رفضهم التضحية بالمكاسب الدنيوية غير المشروعة التي لا يقرها الإسلام، وكانوا يجنونها جرّاء استغلال الناس، وانطلاقًا من استكبارهم عن اتباع رسول ليس من جلدتهم» (٢).

هذا، وقد انسحب الحال نفسه على كثير من زعماء قريش والعرب في بداية الدعوة الإسلامية، الذين رفضوا اتباع الرسالة المحمدية استكبارًا وحرصًا على مكتسبات الزعامة ورفض النزول عنها، فقد ورد عن أبي جهل قوله: والله إني لأعلم أن ما يقول حق لكن يمنعني شيء، إن بني قصي قالوا: فينا الحجابة، قلنا نعم، ثم قالوا: فينا السقاية، فقلنا نعم، ثم قالوا: فينا الندوة، فقلنا نعم، ثم قالوا: فينا اللواء، فقلنا نعم، ثم أطعموا وأطعمنا، حتى إذا تحاكت الركب قالوا: منا نبي، فلا والله لا أفعل(٣).

«والواقع أن المنطق نفسه يمكن أن ينطبق على الحالة الغربية اليوم؛ فمن المعروف أن الغرب يتبنى الكثير من السلوكيات الخاصة به، التي

---

(١) [البقرة: ١٤٦].

(٢) ينظر: «ظاهرة الخوف من الإسلام في الغرب (الإسلاموفوبيا) ومواجهتها فكريا»، (ص: ١٨). » د: ياسين مهدي صالح، مجلة البحوث والدراسات الإسلامية، العدد (٣١) يونيو ٢٠١٣م، الناشر: ديوان الوقف السني- مركز البحوث والدراسات الإسلامية- العراق.

(٣) أخرجه ابن إسحاق في سيرته، باب: (أحاديث الأحبار وأهل الكتاب بصفى النبي صلى الله عليه وسلم)، (٤/ ١٩١)/ بسند صحيح، ومن طريق ابن إسحاق أخرجه الإمام البيهقي في دلائل النبوة ومعرفة أصحاب الشريعة، كتاب: (جماع أبواب المبعث) باب: (اعتراف مشركي قريس بما في كتاب الله من الإعجاز...) (٢/ ١٩٠)، وأخرجه الواقدي في مغازيه، باب: (بدر القتال) (١/ ٢٨).

ترتبط في كثير منها بالنظام الرأسمالي ومبادئه البرجماتية الساعية إلى تعظيم الربح واللذة والمنفعة الخاصة، وتدخل في الوقت نفسه ضمن دائرة الحريات الاجتماعية والاقتصادية المعترف بها هناك من قبيل: حرية المقامرة، وتناول الكحول، والاشتغال بالربا، وتقنين البغاء والمثلية، والسماح بالعلاقات الجنسية خارج إطار الزوجية.... إلخ، وبكل تأكيد لا يمكن أن تحظى مثل تلك السلوكيات بمباركة الدين الإسلامي، الذي يعدها ومثيلاتها من المحرمات، ومن ثم فإنه من الطبيعي أن يجد كثير من أبناء العالم الغربي في الإسلام وتعاليمه تهديدًا صارخًا لما يعتبرونها حريات أساسية، لا ينبغي المساس بها أو التفريط فيها» (١).

«وتتداخل التعارضات المصلحية والحضارية لترسيم شكل العلاقة بين الإسلام والغرب إلى حد بعيد؛ فبينما يمكن الإقرار بأن الصراع الذي يحكم علاقة العالم الغربي بالإسلام يستند في جزء منه إلى اختلافات حضارية عميقة ضاربة بجذورها في التاريخ كما تزعم نظرية «صراع الحضارات» الشهيرة لصاحبها صموئيل هنتنجتون، فإن من الممكن أيضًا القول إن جزءًا مهمًّا من ذلك الصراع يرتكز إلى تضارب المصالح بين الإسلام والغرب؛ بحيث يبدو هذا الأخير على درجة من الاستعداد للقبول بإسلام معتدل يضمن مصالحه السياسية والاقتصادية ولا يشكل تهديدًا لها» (٢).

٥- الحد من انتشار الإسلام

أسهم الاحتكاك الغربي مع غيرهم من المسلمين في التعرف على الإسلام عن قرب وفهم مبادئه وتعاليمه السمحة، وهذا أسهم بدوره في انتشار الإسلام بين الغرب؛ ولهذا سعوا جاهدين من أجل نشر صورة سلبية عن الدين الإسلامي، بأنه دين باطل ولا يرقى لمستوى العالمية، وزاد التزايد

(١) ينظر: «الخوف من الإسلام» الشيخ كاظم الصالحي، (ص: ٥٩).

(٢) ينظر: «المرجع السابق»، (ص: ٥٩).

السكاني في المجتمع العربي الإسلامي من حدة خوف الغرب من الإسلام؛ فالغرب يدرك جيدًا أن الإسلام هو أخطر دين يواجه الحضارة الغربية في المستقبل مثلما واجهها في الماضي، وهذه التخوفات من الإسلام تدل على معرفة الغرب بحقيقة قوة الإسلام وقوة النهضة الحضارية التي سيحققها إن وجد من ينفذ تعاليمه وينطلق من مبادئه(١).

يضاف إلى هذا الدور السلبي الذي قامت به وسائل الإسلام في الترويج للعديد من الأخبار الزائفة، و«نشر العديد من الإشاعات والدعايات المضادة لمبادئ الشريعة الإسلامية، وإظهار أن سلوك المسلمين يمثل ويعكس حقيقة الدين الإسلامي ويجسد صورته التي تتجلى في قهر الغير وإرهابهم، فهم يرون أن طبيعة الدين الإسلامي دموية وأن كل مسلم هو قاتل مأجور وإرهابي بالضرورة، وأن كل العرب والمسلمين يدعمون هذه السلوكيات المضادة للإنسانية، وهذا كله من أجل وقف المد الإسلامي داخل بلاد الغرب» (٢).

وهي صورة أراد الغرب أن تكون هي صورة المسلم في الوعي الغربي، ولذلك أسهم بكل ما يملك من قوة في إبراز ما يريد، «وذلك عن طريق اختيار الكلمات أو التعبيرات أو الصورة، أو حذف المعلومات وتشويهها، مركزًا على تقديم صورة للمسلم المحارب والعدواني الذي يهدد الحضارة الغربية وقيمها، وهي بهذا لا تعبر عن جهل بقدر ما تعبر عن منهج في المعرفة، يعيد بناء الآخر الذي يُنظر إليه على أساس أنه النقيض؛ لكي يتمكن بعد ذلك على نحو مفصل من التعبير عن هذه الصورة النمطية بأشكال مختلفة كالإرهاب، والبداوة، والتطرف، والبترودولار، والديكتاتوريات

(١) ينظر: «خرافة الإسلاموفوبيا»، (ص: ٢٥). بتصرف.

(٢) ينظر: «الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية» الشيخ محمد عبده، (ص: ٢٣)، بتصرف.

العسكرية، والحروب الأهلية، في حين أن الغرب يعني الديموقراطية، وحقوق الإنسان، والتسامح، والمدنية» [١].

٦- سيطرة الإعلام الغربي، وضعف وقصور الإعلام العربي الإسلامي

لقد أسهمت وسائل الإعلام على نحو فعّال في تكوين صورة مشوهة وسلبية للإسلام في العقل الأوروبي، وذلك من خلال التغطية الإعلامية التي يُقدّم الإسلام من خلالها للوعي الأوروبي المعاصر؛ فالإسلام يُنظر إليه من خلال النشرات الإخبارية، والتقارير الصحفية... إلخ على أنه ديانة إرهابية، ومتطرفة وأصولية مكونة بذلك صورة نمطية مدمرة للإسلام[٢].

فعلى سبيل المثال «في شهر تموز (٢٠٠٥م)، هاجم المحامي الأمريكي "راؤول فيلدر" شخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم، مضيفًا أن الإسلام دين كراهية ودين قتل، وذلك في أثناء حلقة من برنامج حواري، وما كان من "جاكي مايسون" -المذيع في شبكة "وستود وان" أكبر شبكات الإذاعة الأمريكية- إلا أن أيده قائلًا: "هذه معلومات مثيرة ولا يعرفها أحد تقريبًا، الجميع يعتقدون أن الإسلام دين ينادي بالحب والأخوة، والحقيقة أن الإسلام دين الإرهابيين، وهم يأخذون أوامرهم من القرآن مباشرة"، وأضاف أن: "الدين الإسلامي كله يدعو ويعلم الكراهية والعنف والإرهاب والقتل، ولا أحد يعلم ذلك، وقد حان الوقت ليعلموا ذلك عن الإسلام؛ فالقرآن يعبر بخمسين أسلوبًا عن الكراهية والحقد والعداء والقتل"، وفي يوليو (٢٠٠٥م) أدلى "مايكل جرام" أحد مقدمي البرامج الحوارية في إذاعة "دبليو إم إيه إل" الأمريكية في أحد برامجه بتصريحات قال فيها "الإسلام منظمة إرهابية"

(١) ينظر: «الإسلاموفوبيا» د. علي محمد علي، (ص: ٢٩٠٥). بتصرف.

(٢) ينظر: «المرجع السابق»، (ص: ٢٩٢١).

و"الإسلام في حرب مع أمريكا" و "المشكلة ليست في التطرف... الإسلام هو المشكلة" و"نحن في حرب مع منظمة إرهابية تُدعى الإسلام"» [١].

«ويُنظر إلى الإسلام اليوم بوصفه منافسًا عالميًّا يبعث على الخوف والقلق، ووفقًا لعلم النماذج الشخصية والتغيرات والظروف التي حدثت فيما بعد الاستعمار، فإن الإسلام قد صنف على نحو جوهري على أنه: أصولي، ومسلح، وضد الغرب، ومكان للقمع السياسي والاجتماعي كما أن المسلمين قد ارتبطوا بالعنف المسلح، وُجِدَ هذا في العناوين الأساسية للصحف، والصور الفوتوغرافية، والكارتون، والفيديو كليب؛ فالمسلم في الولايات المتحدة الأمريكية يحدد بأنه الإرهابي، وهناك صلة قوية جدًّا بين كلمة مسلم وكلمة إرهابي؛ فالمسلمون يُنظر إليهم على أساس أنهم المصدر الأساسي للإرهاب والعنف، وأيضًا باعتبارهم مهددين للديمقراطية» [٢].

فوسائل الإعلام هنا تمارس دورًا بارزًا في مثل هذا الابتذال فيما يخص الإسلام والمسلمين ولا يخفى على كل ذي لب أن وسائل الإعلام هي التي تشكل الوعي الغربي المعاصر في موقفه من الإسلام، وذلك من خلال القوالب النمطية التي وضعتها للمسلمين بشكل عام.

٧- المخاوف المتبادلة

«إن مخاوف الغرب من أنه مهدد من قِبَل العالم الإسلامي، هي مخاوف يتم تشجيعها وترويجها عن قصد، تقابلها مخاوف الشرق الأوسط من التهديد المستمر من قِبَل الغرب؛ فإذا استعرضنا تاريخ القرن العشرين

(١) ينظر: «ظاهرة كراهية الإسلام: الجذور والحلول» معتز الخطيب، (ص: ٦١)، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث المجلد الخامس عدد (١٧)، سنة ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، إيران.

(٢) ينظر: «الإسلاموفوبيا » د: علي محمد علي، (ص: ٢٩٢٢).

بالذات والظروف السياسية الخاصة بسياسة القوة، سنجد أن الخوف في الحالة الثانية له ما يبرره؛ لأن التهديد فيها حقيقي، ويصاحب هذا الإحساس بالتهديد المادي إحساس آخر قوي بالتهديد من قِبَل الثقافة الغربية، ويقابل الوهم الغربي القائل بعدم عقلانية الشرقيين، وَهْم المتشددين الإسلاميين القائل بالانحطاط الروحاني للغرب، وهنا يتم التفريق بوضوح بين الاكتشافات الخاصة بعلوم الطبيعة من ناحية –التي لا يُنظر إليها بوصفها امتدادًا منطقيًّا للمعارف والعلوم التي ورثها الغرب عن المسلمين إبان نهضة الأندلس، وهي اكتشافات يقبلها المسلمون ولا يعترضون عليها– ومن ناحية أخرى بين الفكر المادي الصرف الذي يُنظر إليه على أنه فكر «منحط» وليس دينيًّا، بل إنه ضد الدين، وما يتبع ذلك من الإعلان عن انحلال المعايير الأخلاقية في الغرب، ويعبّر كل من عالج هذه الموضوعات –على الأقل بين السطور– عن الخوف من فقدان الهوية الحضارية» [١].

الغرب يخشي من نفوذ الإسلام أن يعود من جديد ويقوم من رقدته، ولذلك فهم يسيئون إليه من خلال الصور النمطية التي ذكرناها آنفًا؛ فالشعور بالخوف متبادل بين كلا الطرفين (الشرق والغرب)، فكما أن الغرب يخشى من عودة الإسلام، فالشرق كذلك يخشى على هويته الإسلامية، يخشى من فقدان البوصلة الحضارية، والذوبان في الآخر، بحكم قوة الغرب المادية ونفوذه وهيمنته في العصر الحاضر.

٨– الخلط بين الدين الإسلامي وواقع المسلمين

لا يخفى على أحد أن الأمة الإسلامية تعاني منذ قرون عديدة واقعًا مأزومًا على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وهو ما ينعكس في وقوف الأمة على صعيد الإسهام الحضاري والمشاركة في ارتقاء

(١) ينظر: «صورة الإسلام في التراث الغربي»، (ص: ٥٠).

الإنسانية وتقدمها؛ «فعلى المستوى السياسي، عصفت الحروب والنزاعات المسلحة ولا تزال تعصف بأرواح الآلاف من أبناء العالم الإسلامي كل عام، كما لا يزال العديد من الدول الإسلامية تخضع بشكل أو بآخر لقوى أجنبية تحد من إمكانات استقلالها الفعلي.

وعلى الصعيد الاقتصادي، تشير الإحصائيات إلى أن أكثر من نصف مليار مسلم يعيشون تحت خط الفقر، رغم ما تتمتع به المنطقة العربية من ثروات بشرية وطبيعية هائلة، الأمر الذي يوجه الأنظار إلى ما تكابده تلك الدول من استشراء الفساد وسوء الإدارة واختلال العدالة في توزيع الموارد والثروات» [١].

«وفي المجال الاجتماعي، تعاني دول العالم الإسلامي من تفاوتات طبقية صارخة تتفاقم حدتها عامًا بعد آخر، مع العجز عن إيجاد بناءات حديثة قادرة على الإنجاز الناجح الفعّال، وانحطاط مكانة المرأة، وتهميش دور الشباب، وضعف الاهتمام بالأطفال، ناهيك عن اهتزاز المنظومات القيمية وتخلخلها تحت وطأة القيم الغربية الغازية.

وعلى الصعيد الثقافي، يبدو العالم الإسلامي منقطعًا بصورة شبه تامة عن الثوارت المعرفية والمعلوماتية والعلمية التي يشهدها العالم، فيبدو الأقل إسهامًا في تلك الثورات، سواء على مستوى الإبداع أو التطوير، ليغدو في أفضل الحالات مستهلكًا نهمًا» [٢].

---

(١) ينظر: «ظاهرة الخوف من الإسلام في الغرب (الإسلاموفوبيا) ومواجهتها فكريا» د: ياسين مهدي صالح، (ص: ٢٠)، مجلة البحوث والدراسات الإسلامية، العدد (٣١) يونيو ٢٠١٣م، الناشر: ديوان الوقف السني- مركز البحوث والدراسات الإسلامية- العراق. بتصرف.

(٢) ينظر: «المرجع السابق» نفسه.

«وبصورة استعراضية فجة لما تنتجه تلك الثورات من تطبيقات وتقنيات إزاء الواقع المتردي الذي يتخبط فيه العالم الإسلامي، مع الأخذ بعين الاعتبار الجهود الصهيونية والاستعمارية المضنية في تعميق ذلك الواقع وإبرازه وتضخيمه، يغدو من الطبيعي ربط هذه الحالة من التراجع الحضاري والفقر والتخلف من جهة ليتم تحميل الإسلام جرائر ضعف أبنائه وتخلفهم. وعليه، وبعد هذه الصورة المشوهة البتراء، يظن الغربي أن السبب الرئيس في هذا الواقع الذي يعيشه المسلمون هو هذا الدين؛ وبناء عليه يكون موقفه تجاهه سلبيًّا عدائيًّا، ويولي جزءًا من اهتمامه لمحاربته واستئصال شأفته عن قناعة ورضا تامين» (١).

وخلاصة القول، هذه بعض الأسباب التي دعت الغرب إلى الخوف من تنامي الإسلام وانتشاره؛ ولذلك عملت على تشويهه بكل السبل كما ذكرنا آنفًا، إن ظاهرة الإسلاموفوبيا لا تعني الخوف من رفض المسلمين قيم وثقافة الغرب التي يسعى الغرب وأذنابه إلى فرضها على باقي شعوب العالم –خاصة الدول الفقيرة النامية– من أجل استعبادها، بل هي في الحقيقة تعني خوف الغرب من إنهاء الإسلام لهذا المخطط الاستعماري الدنيء، ولا يسعنا سوى أن نقول: إن الإسلام دين لا يبغضه إلا جاهل، أو حاقد، أو صاحب هوى.

(١) ينظر: «المرجع السابق»، (ص: ٢١). بتصرف.

المبحث الخامس: آثار التخويف من الإسلام

إن أولى آثار تنميط صورة الإسلام المشوهة لدى الغرب دفع عوام الناس فضلًا عن علمائهم إلى اتخاذ مواقف سلبية من الإسلام والمسلمين، سواء أكانوا في بلاد الإسلام أم في البلدان الغربية، فتولدت لدى المتلقي الغربي قناعة بصورة الإسلام التي تلقاها؛ مما دفعه إلى التقليل من شأن المسلمين. إن موجة الحملات المشؤومة للتخويف من الإسلام قد آتت بآثار سلبية، وهذا ما رمى إليه أعداء الإسلام وَمَن والاهم، لكن في الوقت نفسه حملت الآثار السلبية في طياتها بعض الآثار الإيجابية، فكانت على النحو الآتي:

أولًا: الآثار السلبية

١- كراهية العرب والمسلمين

انتشرت حملة الكراهية والعداء ضد العرب والمسلمين، وتزايدت بصورة مخيفة بل وارتبطت بأعمال عنصرية لكل ما هو عربي إسلامي خصوصًا بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (٢٠٠١م)، وقد كثرت المواقع الإلكترونية عبر الإنترنت التي تدعو إلى كراهية العرب والمسلمين، وقد انعكس ذلك على الطلاب المسلمين في الجامعات الغربية؛ حيث باتوا يعانون من نفور وكراهية وتوجُّس من أغلب زملائهم الغربيين، نتيجة لتأثير هذه الحملة المنظمة المشوهِّة للعرب والمسلمين، الأمر الذى أدى إلى تكريس عزلتهم والخوف من الانخراط في المجتمع بشكل إيجابي مثمر[١].

(١) ينظر: «الإسلاموفوبيا» د: سعيد اللاوندي، (ص: ٢٠٤).

٢- تشويه صورة الإسلام في نفوس المسلمين وغير المسلمين

وذلك بإثارة الشّبهات حول أحكام الإسلام وتشريعاته وأنظمته المختلفة، وإثارة الشُّبهات حول القرآن الكريم والسُنّة النّبوية المطهّرة، ودس الأحكام الفاسدة، وإغراء بعض ضعفاء النفوس والعقول من أبناء المسلمين باعتناقها على أنها تعاليم الإسلام ومفاهيمه، ثم محاربة الإسلام بها، واختلاق الأكاذيب والافتراءات على الإسلام، وتاريخ المسلمين، وتشويه غايات الفتح الإسلامي بالاستهزاء والسخرية، ووصف المتمسكين بها بالرجعية والتطرف والتعصب والجمود، وتجنيد كل وسائل الإعلام الخبيثة لتحقيق هذه الأغراض(١).

وقد جر كل هذا بعض حكومات الضعف في عالمنا الإسلامي نحو الاصطدام بمؤسسات الصحوة الإسلامية وقمعها دون تمييز لإرضاء الغرب، ولإثبات مصداقيتها لدى مراكز الهيمنة، والحظوة بقدر أكبر من الدعم الغربي لهذه الحكومات حتى ولو كانت ظالمة مستبدة(٢).

٣- توسيع دائرة ما يسمّى بالحرب على الإرهاب

وذلك من خلال تآكل خريطة الحريات وتشويه قيمها بل وقتلها بزعم الدفاع عنها، وإصدار القوانين الاستثنائية التي تنتهك حريات العرب والمسلمين بالتجسس عليهم واقتحام خصوصيتهم القيادية الثقافية؛ فضلًا عن التضييق عليهم في الحدِّ من هجرتهم إلى الغرب، وتوسيع قاعدة العضوية لحلف الناتو، والاتحاد الأوروبي، ومنظمة التجارة العالمية، وغيرها... ذلك

(١) ينظر: «أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير، الاستشراق، والاستعمار)» عبد الرحمن حبنكة الميداني، (ص: ١٢٦)، ط: دار العلم، دمشق، ط: الثانية ١٩٨٠م.

(٢) ينظر: «الخوف من الإسلام» د: عطية الويشي، (ص: ١١٢)، ط: دار نهضة مصر- القاهرة، ط: الأولى: ٢٠٠٦م.

على حساب الحضور العربي والمسلم اللّذين تقل فرص استيعابهما في هذه الكيانات؛ لأنهم هم المستهدفون بإنشائها(١).

ثانيًا: الآثار الإيجابية

لقد شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن ينبّه المسلمين إلى ما يحاك لهم من خلال هذا الإفك الفكري، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ} (٢)،وكما قال أبو تمام: وإذا أرادَ اللهُ نشرَ فضيلةٍ طويتْ أتاحَ لها لسانَ حسودِ.

فعلى الرغم من الآثار السلبية لهذ الظاهرة، فقد كان لها بعض الآثار الإيجابية، منها:

١- ازدياد وعي المسلمين بدينهم وحرصهم على التمسك بشعائره

بعد أن وجد المسلمون أنفهسم أمام هذا الابتلاء الذي لا مفر منه، وأمام هذه التحديات التي لا قِبلَ لهم بها، لم يعد أمامهم إلا أن يتقبلوا هذا البلاء مع إيقانهم التام بأن الخير كل الخير فيما اختاره الله وقدره، وأن الله تعالى لا يبتلي أمة الإسلام بكل هذه المحن بُغضًا لها، أو نقمة عليها، وإنما يبتليهم ليميز الخبيث من الطيب، {إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} (٣).

(١) ينظر: «المرجع السابق»، (ص: ١١٣).

(٢) [النور: ١١].

(٣) [آل عمران: ١٤٠].

إنها عملية تنقية للصف المؤمن من شوائب النفاق والشرك، وعبادة الأهواء، والشهوات، والركون إلى اللذات، وهي عملية ضرورية ومهمة في حياة كل أمة مستهدفة بالإبادة من قِبَل أعدائها، كما نرى اليوم وقد جعلت كل هذه التحديات المسلمون أكثر وعيًا وتنظيمًا لصفوفهم، وقد أدركوا أن خروجهم من محنتهم الحالية ونهوضهم من عثرتهم مرهون بمدى ثقتهم في دينهم وعودتهم إلى ربهم، وقيامهم بحقوقه كلها عليهم، والتزامهم بمنهجه عقيدة وشريعة ونظامًا للحياة(١).

٢- تزايد أعداد المسلمين في الغرب

ازداد عدد المؤمنين بالإسلام من الغربيين بعد أن أثار الإسلاموفوبيا مزيدًا من فضول الغربيين لدراسة الإسلام، والوقوف على حقائقه بأنفسهم ومن مظانه الأساسية والأصلية؛ فأدى ذلك إلى نفاد نسخ القرآن المطبوعة والمترجمة، ونسخ من كتب إسلامية كثيرة، وأصبح هناك تعاطف كبير مع المسلمين، حتى إن مؤسسة نسائية تضم قرابة الخمسة آلاف سيدة أمريكية أعلنت تخصيص يوم ترتدي فيه عضواتها الحجاب الإسلامي كنوع من التضامن مع السيدات المسلمات المحجبات في أمريكا، وقد أفاد المسلمون كثيرًا من هذا التعاطف الرمزي.

وقد ازداد أعداد الداخلين في الإسلام بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، ووصلت أعدادًا كبيرة، وقد شرعت بعض الجامعات الأمريكية والمدارس في تنفيذ فكرة تدريس الدين الإسلامي لتُزيل أية تشوهات والتباسات عالقة بالعقلية الغربية ولا سيما الأمريكية(٢).

---

(١) ينظر: «الإسلام والتحدي الحضاري» د: حمدي والي، (ص: ٢٢١)، ط: شروق للنشر والتوزيع- المنصورة- ط: الأولى ١٤٢٢٧هـ، ٢٠٠٧م.

(٢) ينظر: «الخوف من الإسلام» د: عطية الويشي، (ص:١١٤).

المبحث السادس: علاج ظاهرة الإسلاموفوبيا

إذا كانت ظاهرة الخوف من الإسلام أو العداء الغربي للإسلام التي تسمى بـ (الإسلاموفوبيا) لها أسبابها، وهي من وجهة نظرنا نحن المسلمين أسباب واهية ومفتعلة، فلا بد من مواجهة هذه الظاهرة، وذلك بوضع حلول وعلاج لها، وتتمثل هذه الحلول فيما يأتي:

١- التعريف بحقيقة الإسلام وخصائصه

لقد ذكرنا صورة الإسلام والمسلمين في الواقع الغربي، وكيف أنها مشوهة ومقرونة بعمليات الإرهاب وسفك الدماء والتدمير، والإسلام بريء من هذا، فيجب علينا نحن المسلمين بذل الجهد والطاقة من أجل التعريف بهذا الدين العظيم الخاتم، وهذا واجب يقع على عاتق أهل العلم من دعاة ومؤسسات علمية سواء داخل العالم الإسلامي أو حتى في بلاد الغرب نفسه، وهي طريقة ناجحة لمواجهة ظاهرة الخوف من الإسلام عبر التعريف بالدين الحنيف وتصحيح المفاهيم المغلوطة عنه وتجلية صورته السمحة.

إن هناك حاجة ملحة للتعرف إلى الإسلام بأنه دين الحق والخير والعدل والتسامح، تمهيدًا لبعث هذه الصورة إلى العالم بأسره، ومن هنا يجب التركيز على القضايا التي فهمها الغرب وروج لها على غير وجهها، كقضية المرأة، والميراث، وحقوق الإنسان، والتعايش...إلخ، وهي قضايا يمكن المحاججة بها لإبراز ما قدمه الإسلام لهذه القضايا من حق وإنصاف ورفعة لمكانة أهلها[١].

(١) ينظر: «استشراق مستحدث، الإسلاموفوبيا» محمود حيدر، (ص: ١٥٥)، مجلة دراسات استشراقية، المجلد الثاني العدد الثالث، الناشر: المركز الإسلامي للدراسات الاستشراقية- العراق، ٢٠١٥م. بتصرف.

٢- إنشاء مراكز علمية متخصصة في الدول الأوروبية تعني بنشر صحيح الإسلام وبيان زيف الأغاليط التي تروج عن الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم.

٣- إنشاء قنوات تخاطب الغرب بلغتهم وتُعنَى بالقضايا التي فهمها الغرب على غير حقيقتها كقضية المرأة، وحقوق الإنسان والتعايش وغيرها من القضايا ذات الصلة.

٤- إبراز أعمال وأقوال المنصفين من علماء الغرب.

ومن هذا النوع نجد مؤرخين وأدباء ومستشرقين ممن كان لهم إنصاف للإسلام وإظهار لمناقبه، مثل مايكل هارت (Michael Hart) الذي اختار الرسول صلى الله عليه وسلم على رأس قائمة كتابه «الخالدون مائة» كأكبر شخصية مؤثرة في تاريخ البشرية، وتوماس كارليل (Thomas Carlyle) وليو تولستوي، وزيغريد هونكه، وغيرهم ممن أسهموا في إظهار الصورة السمحة للإسلام بعيدًا عن أي تشويه، وأي ربط بالإرهاب والعنف والتطرف؛ ولذلك مثل هذه الأطروحات قد توفر المخرج للتخلص من غياهب الإسلاموفوبيا؛ ولهذا تُعد عملية تعديل صورة الإسلام في العالم ضرورية، وذلك بفك ارتباطها بالإرهاب في التصور الغربي[١].

٥- فتح باب الحوار مع الآخر

هنا نود التركيز على فهم الآخر وفتح باب الحوار: إن مفهوم الحوار بين الحضارت مفهوم إسلامي بحت، وذلك لأن الله سبحانه جعل الخلائق شعوبًا وقبائل للتعارف والتحاور والتفاعل، ولأن الأصل في الحضارات الحوار لا الصراع، وعلى كل طرف أن يلتزم بآداب الحوار وشروطه وضوابطه، ويحترم الطرف الآخر، ويقدر مرجعيته وخصوصيته الثقافية،

(١) ينظر: «استشراق مستحدث، الإسلاموفوبيا» محمود حيدر، (ص: ١٥٥).

والإسلام خير حضارة وضعت أسس حوار الحضارات، وعززت هذا الحوار على مدار التاريخ الإنساني، كما أن الإسلام يرفض المزية الحضارية وإلغاء الحضارات الأخرى وإن كانت ضعيفة(١).

كما يرفض الإسلام أيضًا تهميش الحضارات وهيمنة حضارة واحدة على كل الحضارات، ونقصد بهذا الحضارة الغربية التي هيمنت على الواقع في كل مجالات الحياة؛ فالحوار بين الأديان قضية قديمة تتجدد مع الزمان حسب الحاجة، ويزيد الاهتمام بها من وقت لآخر كلما دعت حاجة إلى ذلك أو كان هناك فهم مغلوط لحقائق الشرع الحنيف وتعاليمه السمحة.

والحوار أصل مشروع، قال تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} (٢)، وقوله تعالى: {ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ}(٣).

٦- يحتاج المسلمون إلى آلة إعلامية تضارع الآلة الإعلامية الغربية؛ فلا يمكن مجابهة ما ينشر من وسائل إعلامية غربية بالعاطفة والخروج في مسيرات ومظاهرات، بل لا بد من التركيز على إعلام محترف

(١) ينظر: «الغرب وظاهرة الإسلاموفوبيا» د: عثمان محمد دفع الله القرجي، (ص: ٣٤٣)، مجلة أم درمان الإسلامية- كلية الدعوة الإسلامية، العدد السابع ديسمبر ٢٠١٤م. بتصرف.

(٢) [آل عمران: ٦٤].

(٣) [النحل: ١٢٥].

يعمل متواصلًا وبشكل مباشر على الفئة المستهدفة لبيان وكشف الشُّبَه التي رُوِّجَت زورًا وبهتانًا عن الإسلام ونبيه صلى الله عليه وسلم(١).

٧- تأسيس المواقع الإلكترونية التي تتحدث عن الإسلام وخصائصه، وبلغات متعددة ليتسنى للعالم أجمع أن يطلع على حقيقة الإسلام؛ حيث إن العالم أصبح قرية صغيرة بما عرف بالشبكة العنكبوتية، والتي من خلالها يستطيع الإنسان أن يصل إلى العالم دون عناء(٢).

هذا إلى غير ذلك من الحلول الأخرى ذات الصلة، لكن ما ينبغي أن ننبه عليه هو تجاوز الحلول التقليدية والخروج من السُّبات والسكينة، وكذلك الغوغائية والعشوائية في الفعل ورد الفعل والشرذمة، إلى تبني خُطة إستراتيجية منظمة للدفاع عن الإسلام، وبيان صورته الحقيقية ومبادئه السمحة، وهذه الخطة هي خطة مؤسسات وجمعيات أهلية ومؤسسات مجتمع مدني؛ كل في تخصصه، وبحسب ما تسنح الفرصة والطاقة.

(١) ينظر: «الغرب وظاهرة الإسلاموفوبيا»، (ص: ٣٤٤).

(٢) ينظر: «ظاهرة الخوف من الإسلام في الغرب (الإسلاموفوبيا)» د: رائد سعيد أحمد، (ص: ١٠٤)، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الرابع عشر، العدد الأول: ٢٠١٨م.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبعد: ففي نهاية هذه الدراسة الموجزة يمكن الوقوف على بعض النتائج والتوصيات.

أولًا: النتائج

- الإسلاموفوبيا حالة قديمة متجددة، بدأت مع ظهور الإسلام، وتتجدد حسب كل عصر كحالة بين الشرق والغرب.
- من أهم العوامل التي أدت إلى هذه الظاهرة النجاحُ الذي حققه الإسلام خارج أرضه عبر التاريخ؛ مما شكل خوفًا وقلقًا بالغين لدى الغرب من تكرار مثل هذا النجاح ووأد أحلامه الاستعمارية.
- سعى المستشرقون إلى تنميط صورة سيئة يشوبها التضليل والتدليس لغرض تحقيق أهداف استعمارية في بلاد الشرق الإسلامي تمهيدًا لتحقيق مكاسب اقتصادية.
- للإعلام دور فاعل في التصدي لهذه الظاهرة شريطة أن يكون القائمون على ذلك متخصصين في الشأن الإسلامي.

ثانيًا: التوصيات

١- تشجيع الخطوات المباركة التي يقوم بها الأزهر الشريف نحو تبني خطة استراتيجية مُحكمة لمد جسور التواصل والتعاون مع السفارات الغربية في جمهورية مصر العربية عن طريق دعوة السفراء والقناصل الغربيين إلى الأزهر الشريف وتعريفهم بأنشطته الفكرية والثقافية، ودعوتهم إلى المؤتمرات التي يعقدها، ومشاركة هؤلاء السفراء مع الأزهر الشريف في طرح خطة واستراتيجية لمواجهة أزمة الإسلاموفوبيا في المجتمعات الغربية.

٢- عقد مؤتمر يناقش فيه الأزهر الشريف قضية الإسلاموفوبيا في العالم، ويكون من بين المدعويين لهذا المؤتمر خبراء قانونيون، وسياسيون،

ودبلوماسيون، وعلماء دين، وعلماء اجتماع وممثلين لمنظمات دولية، فضلًا عن ممثلي الدول في السفارات المصرية؛ لإطلاعهم على الأزمة وآثارها السلبية على المجتمعات، ومحاولة الخروج بتوصيات عملية من شأنها مواجهة حالة القلق والاضطراب والخوف لدى البعض من الإسلام والمسلمين.

٣- تعاون الأزهر الشريف مع الإعلاميين والأكاديميين والرياضيين والفنانيين المصرين الذين لهم تواجد في الغرب والمجتمعات غير المسلمة، وتعاون الأزهر مع هؤلاء الفنانين والرياضيين يعطيهم القوة والدفعة أن يواصلوا نجاحاتهم وإسهاماتهم في الغرب، ولعلها تكون الوسيلة المثلى والأفضل للتعريف بالإسلام والمسلمين في هذه المجتمعات.

والله من وراء القصد

اللهم لا تُعذب عينًا تنظر إلى عُلوم تَدل عليك، ولا يدًا تكتب في سبيلك لتُهدَى البشرية إليك.. اللهم آمين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

Sancta Quran

«أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير، الاستشراق، والاستعمار)» عبد الرحمن حبنكة الميداني، ط: دار العلم، دمشق، ط: الثانية ١٩٨٠م.

“Tres deceptionis et metus (Evangelismus, Orientalismus et Colonialismus)” Abd al-Rahman Habankah al-Maidani, ed.: Dar al-Ilm, Damascus, secunda editio, 1980 AD.

«استشراق مستحدث، الإسلاموفوبيا» محمود حيدر، مجلة دراسات استشراقية، المجلد الثاني العدد الثالث، الناشر: المركز الإسلامي للدراسات الاستشراقية – العراق، ٢٠١٥م.

"Novum Orientalismum, Islamophobia" Mahmoud Haider, Acta Studiorum Orientalium, Volumen II, Partem III, Publisher: Islamic Centre pro Studiis Orientalibus – Iraq, MMXV AD.

«الاستشراق» إدوراد سعيد، ترجمة د: محمد عناني، الناشر: رؤية للنشر والتوزيع، ط: الأولى ٢٠٠٦م.

"Orientalismus" ab Edwardo Said, a: Muhammad Anani, editor: Visio pro Publishing et Distributione, editio prima 2006 .

«الإسلام الإصولي» تأليف: برنارد لويس، إداورد سعيد، ط: دار الجيل- بيروت، ط: الأولى ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

"Fundamentalist Islam" script: Bernard Lewis, Edward Said, ab editis: Dar Al-Jeel - Beirut, editio prima 1414 AH - 1994 AD.

«الإسلام والنصرانية بين العلم والمدنية» الشيخ محمد عبده، ط: مؤسسة هنداوي ٢٠١٠م.

"Islam et Christianismum inter scientiam et civilizationem," Sheikh Muhammad Abdo, ed.: Fundatio Hindawi, 2010 AD.

«الإسلام والتحدى الحضاري» د: حمدى والى، ط: شروق للنشر والتوزيع- المنصورة- ط: الأولى ١٤٢٢٧هـ، ٢٠٠٧م.

"Islam et provocatio civilis" ab: Hamdy Waly, edita ab: Shorouk Publishing et Distribution - Mansoura - First Edition 14227 AH, 2007 AD.

«الإسلام والغرب والمستقبل» أرنولد توينبي، ترجمة: نبيل صبحي، ط: الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع– بيروت ١٩٦٩م.

Arnoldus Toynbee ab Arnoldo Toynbee "Islam, Occidens et Future" translatus ab: Nabil Sobhi, editus ab: Domo Arabe typographiae, Publishing et Distributio - Beirut 1969 AD.

«الإسلام والغرب: افتراءات لها تاريخ» تأليف أ.د: محمد عمارة، ط: مركز الإعلام العربي، ط: الأولى ١٤٢٧هـ– ٢٠٠٦م.

"Islam et Occidentem: Calumnia cum Historia" scripsit Prof. Dr. Muhammad Amara, a: Arabum Media Centre, editio prima, 1427 AH - 2006 AD.

«الإسلام والمسيحية» تأليف: أليكسي جوارفسكي، ترجمة د: خلف محمد الجراد، تقديم أ.د: محمود حمدي زقزوق، الناشر: سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب– الكويت جمادى الآخرة ١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م.

"Islam et Christianismum" scripsit: Alexei Jawarevsky, a Dr. Khalaf Muhammad Al-Jarad translatum, a Prof. Dr. Mahmoud Hamdi Zaqzouq, edidisse: Mundus Cognitionis Series, Consilium Nationale de Cultura, Artibus et Litteris - Kuwait, Jumada al-Akhirah 1417 AH / 1996 AD.

«الإسلاموفوبيا» د: علي محمد علي ، بحث محكم بمجلة الدراسات العربية– كلية دار العلوم جامعة المنيا، المجلد السابع والثلاثون، العدد السادس، يناير ٢٠١٨م.

"Islamophobia" by: Ali Muhammad Ali, investigatio paris recensita in Acta Studiorum Arabicorum - Facultas Dar Al-Ulum, Universitas Minya, Volume Triginta Septem, Partes Sex, Ianuarii MMXVIII.

«التحديات والمواجهات في عداء الغرب للإسلام» جعفر عبد السلام، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث المجلد الخامس، العدد السابع عشر، ١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م.

"Provocationes et Confrontationes in West inimicitias ad Islam," Jaafar Abdel Salam, Acta nostra Culture Studiorum et Research, Volume V, Issue Septemdecim, 1429 AH 2008 AD.

«الخوف من الإسلام» د: عطية الويشي، ط: دار نهضة مصر– القاهرة، ط: الأولى: ٢٠٠٦م.

"Timor Islam" by: Attia Al-Wishi, edita a Dar Nahdet Misr - Cairo, editio prima: MMVI AD.٢٠٠٦

«السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام العالمية» زياد أبو غنيمة، ط دار عمار، الأردن_ عمان، ط: الأولى ١٤٠٤هـ_ ١٩٨٤م.

"Zionista Imperium Mediae Internationalis," Ziad Abu Ghanima, Dar Ammar Edition, Jordan, Amman, Editio prima, 1404 AH, 1984 AD.

«الغرب وظاهرة الإسلاموفوبيا» د: عثمان محمد دفع الله القُرجي، مجلة أم درمان الإسلامية– كلية الدعوة الإسلامية، العدد السابع ديسمبر ٢٠١٤م.

"Occidens et Phaenomenon Islamophobiae" ab: Othman Muhammad Dafallah Al-Qarji, emporium Omdurman Universitas islamica - Collegium Islamicum Da'wah, constitutio septem, Decembris MMXIV.٢٠١٤

«الفاتيكان والإسلام» أ.د: محمد عمارة، ط: مكتبة وهبة– القاهرة ٢٠١١م.

"Vaticae et Islamicae" Muhammad Emara, ed.: Wahba Library, Cairo, 2011 AD.

«المعجم الفلسفي» تأليف جميل صليبا، الناشر: دار الكتاب اللبناني، بيروت– لبنان ١٩٨٢م.

Dictionarium Philosophicum" scripsit Jamil Saliba, editor: Dar Al-Kitab Al-Lubani, Beirut - Libani 1982 AD.

«المعجم الوسيط» تأليف: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، الناشر: دار الدعوة، بدون.

"Dictionarium Intermedium" scripsit: Ibrahim Mustafa, Ahmed Al-Zayat, Hamed Abdel Qader, Muhammad Al-Najjar, Publisher: Dar Al-Da'wa, sine

«تغطية الإسلام» ادوارد سعيد، ترجمة، د: محمد عناني، ط: دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط: الأولى: ٢٠٠٥م.

"Operendi Islam" ab Edward Said, a: Muhammad Anani, edita a Dar Ru'ya pro Publishing et Distributione, Cairo, editio prima: 2005 AD.

«خرافة الإسلاموفوبيا» تأليف أ.د: الدراجي زروخي، الناشر: منشورات مخبر الدراسات الأنثربولوجية والمشكلات الاجتماعية جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، ط: الأولى: ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م.

"Mythiam Islamophobiae" scripsit Prof. Dr. Al-Daraji Zarroukhi, Publisher: Publicationes Studiorum Anthropologicorum et Problematum Socialium, Mohamed Boudiaf University of M'sila, Algeria, Prima Editio: 1442 AH / 2021 AD.

«دور الإعلام في معالجة ظاهرة الخوف من الإسلام (الإسلاموفوبيا)» مجموعه من المؤلفين، ندوة علميه عقدت في الفترة ٢٠- ٢٢ شوال ١٤٢٧هـ / ١١-١٣ نوفمبر ٢٠٠٦م بحلب، سوريا، الناشر: منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة- ايسيسكو ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.

"Munus mediorum in phaenomenon timoris Islamophobiae appellans" a coetu auctorum, symposium scientificum in periodo 20-22 Shawwal 1427 AH / 11-13 Novembris 2006 AD in Aleppo, Syria, Publisher. : Publicationes Institutionis Islamicae, Scientificae et Culturae Organizationis - ISESCO 1429 AH/2008 AD.

«رسالة في الطريق إلى ثقافتنا» محمود محمد شاكر، ط: الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٧م.

"Nuntium in via ad Nostram Cultura," Mahmoud Muhammad Shaker, ed.: Liber Auctoritatis Generalis, 1997 AD.

«رهاب الإسلام.. الإسلاموفوبيا» أوراق بحثية، تحرير: مدثر محمد، آلاء الصديق، ط: منتدى العلاقات العربية والدولية.

"Islamophobia...Islamophobia" Investigationes chartae editae ab: Mudathir Muhammad, Alaa Al-Siddiq, ed.: Forum ad relationes Arabicas et Internationales.

«روائع الكتب الإسلامية» تأليف أ.د: محمد عمارة، ط: روابط للنشر، أرض الجولف، ط: الأولى ٢٠١٩م.

"Magistri librorum islamicorum" scripsit Prof. Dr. Muhammad Emara, editus a Rawabet Publishing, Ard Al-Golf, editio prima, MMXIX AD.

«صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي» صاموئيل هنتجون، ترجمة: طلعت الشايب، تقديم د: صلاح قنصوة، الناشر: سطور، ط: الثانية ١٩٩٩م.

"Concursus Civilizationum: Reparatio Mundi" a Samuele Huntington, translata ab: Talaat Al-Shayeb, exhibita a: Sala Qanswa, publisher: Sotour, editio secunda, anno 1999 AD.

«صورة الإسلام في الإعلام الغربي» د: عبد القادر طاش، الناشر الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط: الثانية ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

"Imago Islam in Media occidentali" by: Abdul Qadir Tash, Al-Zahraa Publisher ad Mediam Arabum, Cairo, Secundae Editionis 1414 AH/1993 AD.

«صورة الإسلام في التراث الغربي» (دراسات ألمانية) ترجمة أ. ثابت عيد، تقديم أ.د: محمد عمارة، ط: نهضة مصر للطباعة والنشر، نوفمبر ١٩٩٩م.

"Imago Islam in Heritage occidentali" (Studia Germanica) translata ab A. Thabet Eid, praesentatus a Prof. Dr. Muhammad Emara, editus a Nahdet Misr typographiae et Publishing, Novembris MCMXCIX.

«صورة العرب في العقل الغربي من خلال الموسوعات العلمية الغربية» تأليف د: عفيف البوني، مجلة المستقبل العربي، عدد المجلد العاشر العدد، (١٠١) يوليو/ تموز ١٩٨٧م، الناشر: مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان.

"Imago Arabum in mente occidentali per Occidentalem Encyclopedias Scientific", scripsit Dr. Afif Al-Bouni, Al-Mustaqbal Al-Arabi Magazine, Volume Decem, Issue (101), Iulii 1987, Publisher: Centrum pro unitate Arabica. Studia, Libanus.

«صورة العرب والإسلام في الكتب المدرسية الفرنسية» د: مادلين نصر، الناشر: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط: الأولى يناير ١٩٩٥م.

"Imago Arabum et Insularum in Schola Gallica Libri" by: Madeleine Nasr, Publisher: Centrum pro Studiis Arabicis unitatum, Berytus, editio prima, mensis Ianuarii anno 1995.

«ظاهرة الخوف من الإسلام في الغرب (الإسلاموفوبيا) ومواجهتها فكريا» د: ياسين مهدي صالح، مجلة البحوث والدراسات الإسلامية، العدد (٣١) يونيو ٢٠١٣م، الناشر: ديوان الوقف السني –مركز البحوث والدراسات الإسلامية– العراق.

"Phaenomenon timoris Islamicae in Occidente (Islamophobia) et intellectualiter aggreditur" Dr. Yassin Mahdi Saleh, Acta inquisitionis islamicae et Studiorum, Exitus (31), Iunii 2013, Publisher: Sunni Ewowment Office - Centre pro Investigatione islamica and Studies - Iraq.

«ظاهرة الخوف من الإسلام في الغرب (الإسلاموفوبيا)»د: رائد سعيد أحمد، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الرابع عشر، العدد الأول: ٢٠١٨م.

"Phaenomenon timoris Islamicae in Occidente (Islamophobia)" by: Raed Saeed Ahmed, Acta studiorum islamicorum Jordanian, Volume Quattuordecim, Pars Prima: MMXVIII AD.

«ظاهرة كراهية الإسلام: الجذور والحلول» معتز الخطيب، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث المجلد الخامس عدد (١٧)، سنة ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م، إيران.

"Phaenomenon Islamophobiae: Roots et solutiones," Moataz Al-Khatib, Acta nostra Culture Studiorum et

Research, Volume V, No. (17), anno 1429 AH - 2008 AD, Iran.

«عولمة العولمة من أجل التنوع حضاري» المهدي المنجرة، ط: مشورات الزمن، المغرب، ط: الثانية: ٢٠٠٥م.

"Globalizationis Globalizationis causa diversitatis culturalis", Al-Mahdi Al-Manjra, ed.: Consilium Temporis, Morocco, editio secunda: 2005 AD.

«فتوح البلدان» أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري، الناشر: دار ومكتبة الهلال– بيروت: ١٩٨٨م.

"Conquestus terrarum" ab Ahmed bin Yahya bin Jaber bin Daoud Al-Baladhuri, editor: Al-Hilal House et Library - Beirut: 1988 AD.

«فوبيا الإسلام في الغرب» د: سعيد اللاوندي، ط: دار أخبار اليوم، ط: الأولى ٢٠٠٦م.

"Islamophobia in Occidente" ab: Saeed Al-Lawandi, ab Akhbar Al-Youm House edita,Edition: Prima MMVI AD.٢٠٠٦

«مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين» على بن إبراهيم النملة، ط: مطبوعات الملك فهد الوطنية، الرياض المملكة العربية السعودية، ١٤١٤هـ– ١٩٩٣م.

"Fontes Informationis Orientalismi et Orientalistarum" ab Ali bin Ibrahim Al-Namlah, ed.: Rex Fahd National Publications, Riyadh, Regnum Arabiae Saudianae, 1414 AH - 1993 AD.

«موسوعة الإسلام وقضايا العصر»، ط: روابط للنشر، أرض الجولف، ط: الأولى ٢٠١٩م.

"Encyclopedia Islamica et Contemporanea Exitus", ed.: Rawbat Publishing, Ard Al-Golf,Edition: First MMXIX AD.٢٠١٩

«موسوعة علم النفس» تأليف أسعد مرزوق، مراجعة: عبد الله الدايم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،ط: الثالثة: ١٩٨٧م.

Encyclopedia Psychologiae ab Asaad Marzouk conscripta, ab: Abdullah Al-Dayem, fundatio Arabum Studiorum et Publishing, Berytus, editio tertia: 1987 AD.

«واقعنا المعاصر والغزو الفكري» صالح حسين الرقب، ط: الدار العالمية للتجليد ٢٠١٠م.

"Res nostrae contemporaneae et intellectualis Invasionis," Saleh Hussein Al-Raqab, ab: International House of Binding, 2010 AD.